سوريا بعد لبنان، لبنان بعد سوريا

التقرير رقم 39 حول الشرق الأوسط – 12 نيسان (أبريل) 2005



قائمة المحتويات



تقرير الشرق الأوسط رقم 39 — 12 نيسان (أبريل) 2005

سوريا بعد لبنان، لبنان بعد سوريا

ملخّص تنفيذي وتوصيات

جاء اغتيال رئيس الوزراء السابق رفيق الحريري المأساوي تتويجا لسلسة من الأحداث كانت تحمل بذور تغيير جذري ليس لمستقبل لبنان فحسب بل لمستقبل سوريا والساحة الإقليمية الأوسع كذلك. وقد اتسم تصرف معظم القوى الفاعلة الدولية وفي داخل لبنان حتى الآن بالحكمة المطلوبة؛ وبات احتمال الانسحاب السوري من لبنان الذي طال انتظاره وإجراء انتخابات لبنانية بدون تدخل خارجي أقرب إلى الواقع أكثر من أي وقت مضى. ولكن مخاطر حدوث أعمال عنف خطيرة ما تزال حقيقية جدا. فالنظام السوري، وقد استشعر الخطر المحدق ببقائه، قد يرد على ذلك باللجوء لما تبقى لديه من أدوات وحلفاء في لبنان وخارجه؛ والولايات المتحدة التي تشعر بأن أهدافها الإقليمية الأوسع باتت قاب قوسين أو أدنى قد تتمادى في توجهها غير المجدي هذا مما قد يولد ردود فعل عنيفة من قبل سوريا وحزب ا والمجموعات الفلسطينية المسلحة؛ والطبقة السياسية اللبنانية المعروفة بتفسخها قد تخلق ظروفا جديدة لتدخل أجنبي ممهدة الطريق للفوضى الداخلية. فما يحدث في لبنان اليوم على الأرجح سيترك آثاره الواضحة الإقليمية وبالتأكيد على سوريا وحزب ا وربما العملية السلمية بين إسرائيل والفلسطينيين وحتى على العراق. ولكن التعامل مع هذه المواضيع قبل معالجة الوضع اللبناني هو أبعد الخيارات عن جادة الصواب.

ومهما كانت الدوافع وراء اغتيال الحريري فانه قد نجح في زيادة الضغط على سوريا وأدى إلى التقاء بين الفاعلين الرئيسيين وأهدافهم المتناقضة؛ الولايات المتحدة أعطت الأولوية لوقف الدعم السوري للمجموعات الفلسطينية المسلحة وحزب ا والتمرد في العراق؛ وفرنسا كانت أكثر المهتمين بالوضع اللبناني والتي عقدت الآمال على الرئيس السوري؛ والنشطاء اللبنانيين الذين لم يتفقوا على الكثير من المواضيع في السابق. ولأن سمعة الحريري ونفوذه تجاوزا حدود لبنان، ولأنه جسد حلقة الوصل مع معظم أجزاء العالم الخارجي فان اغتياله عجل، على الأقل مؤقتا، على التقاء وتوحد مطالب أعداء سوريا على مختلف مشاربهم والتي تتلخص في: الانسحاب الكامل للقوات والمخابرات السورية من لبنان؛ كشف الحقيقة حول اغتيال الحريري وإجراء انتخابات لبنانية حرة وبإشراف دولي.

فالمعارضة اللبنانية ركزت معظم جهودها على المحافظة على الوحدة الوطنية وقللت من شأن البعد الديني (الطائفي) الضمني وتجنبت المواقف الاستفزازية التي يمكن أن تستبعد حزب ا القوي أو الطائفة الشيعية الكبيرة. وحاول حزب ا أن يؤكد تضامنه مع سوريا والدعوة إلى حوار وطني في آن واحد؛ وبعبارة أخرى اعترف الحزب بأن وجود سوريا في لبنان قد انتهى وأنه لن يجني أية ثمار من أي صراع أهلي داخلي وان أولويته هي المحافظة على مكانته على الساحة الداخلية. وبعد شيء من التردد أظهرت واشنطن أيضا قدرا ملحوظا من ضبط النفس وبدأت تركز الآن على الساحة اللبنانية وتقاوم إغراء الوقوع في الأبعاد الإقليمية والدولية الأوسع (والمتشابكة بطبيعة الحال) مثل موضوع نزع سلاح حزب ا كجزء من متابعة الحرب ضد الإرهاب أو تغيير النظام في دمشق.

وفي مطلع عام 2004 حاولت كرايسز جروب أن تبرهن على أنه من أجل تجنّب أزمة أمريكية- سورية على الطرفين أن يغيرا أسلوبهما، كأن تعلن واشنطن بوضوح ماذا تتوقع وماذا يمكن لدمشق أن تتوقعه مقابل ذلك؛ وأن توضح دمشق بشكل لا يقبل التأويل قرارها بتغيير سياستها. وفي الوقت الذي لم يبدي فيه أي من الطرفين أي اهتمام بذلك فمن الصعوبة بمكان القول بأن استراتيجية الولايات المتحدة الحازمة في ممارسة الضغط ورفضها التفاوض على مطالبها لم تنجح. فالنظام البعثي يعيش في عزلة أكثر من أي وقت مضى وهو على وشك أن يفقد مصدر قوة إقليميا رئيسيا له (أي لبنان) إضافة لتساؤلات خطيرة حول قدرته على البقاء في وضعه الحالي.

ومن وجهة نظر إدارة بوش فالوقت مناسب الآن للضغط وليس للتفاوض.

ومع كل ذلك فليس باستطاعة الولايات المتحدة ولا بقية المجتمع الدولي عدم الاهتمام بما قد تفعله سوريا والقوى المؤثرة اللبنانية. فحتمية خروج سوريا من لبنان باتت مؤكدة الآن، ولكن ما هو غير مؤكد هو كيف ستخرج وماذا ستترك وراءها؟ وكثير من السيناريوهات المرعبة –كالفوضى والحرب الأهلية أو المواجهة الشاملة بين إسرائيل وحزب ا – لم تعد تبدو اليوم واردة أو هي مبالغ فيها أصلا. ولكن بذور العنف موجودة. فمن وجهة نظر دمشق فالحماس المفاجئ إزاء سيادة لبنان هو آخر محاولات الولايات المتحدة لزعزعة النظام في دمشق وبالتالي التمهيد لنظام إقليمي جديد في المنطقة. وعلى الرغم من الضعف الملحوظ الذي أصاب النظام السوري إلا أن النظام ما يزال يملك الوسائل والحلفاء لدب الفوضى في المنطقة إذا ما توصل هذا النظام إلى استنتاج مؤداه أن بقاءه بات معرضا للخطر. أما من وجهة نظر حزب ا فان الانسحاب السوري يشكل الفصل الأول؛ فالخطوة التالية على أجندة الولايات المتحدة وإسرائيل هي نزع سلاحه وهو، أي الحزب، قادر في المدى المنظور على الأقل على مقاومته باستخدام القوة إذا لزم الأمر. ومن وجهة نظر المجموعات اللبنانية المتفككة، سواء في المعارضة أو تلك الموالية لدمشق، فان نهاية التواجد السوري في لبنان تعني إعادة فتح ملفات كانت مغلقة منذ نهاية الحرب الأهلية، بدءا بالعلاقات الطائفية وتقاسم السلطة إلى حزب ا واللاجئين الفلسطينيين. وكل هذه العناصر القابلة للاشتعال ستغري اللبنانيين الساخطين ومعهم جهات خارجية لاستغلالها. ففي بلد تتكدس فيه الأسلحة ومعتاد أن يكون مسرحا للحروب بالإنابة بين العرب والفلسطينيين والإسرائيليين، وعلى أبواب إعادة توزيع كبرى للسلطات والموارد فان أدوات ودوافع العنف كثيرة.

على ضوء هذه التفاصيل يمكن تفهم رغبة الولايات المتحدة القوية بشكل خاص للاستفادة من الوضع الحالي لتحقيق أهدافها الأكبر. ولكن هذا التوجه خطير ليس لأحد أكثر من اللبنانيين أنفسهم. والمبدأ الأهم في هذا يجب أن يكون الفصل والتمييز بين إعادة السيادة الكاملة للبنان واستقلاله واستقراره، بما في ذلك إجراء انتخابات حرة بدون تأخير وبإشراف دولي، وإجراء تحقيق دولي في اغتيال الحريري، وبين المواضيع الأخرى الأوسع التي يمكن أن تعيق الهدف الأول. وهذا يتطلب من الولايات المتحدة السيطرة على شهيتها ويتطلب من المعارضة اللبنانية المحافظة على اعتدالها ومن سوريا تجنب سياسة الأرض المحروقة.

التوصيات

للقوى السياسية اللبنانية بما فيها المعارضة وحزب ا :

1. اعتماد أرضية مشتركة بما في ذلك الخطوات الفورية المتتابعة التالية

(أ) تشكيل حكومة مؤقتة مكلفة بتنظيم الانتخابات؛

(ب) إصدار قانون انتخابي جديد قائم على نظام القضاء (وهو أصغر وحدة إدارية لبنانية) وتقسيم بيروت بموجب قانون 1960 وتوجيه الدعوة الرسمية للمجتمع الدولي لإرسال ما يكفي من المراقبين قبل موعد الانتخابات؛

(ج) الاتفاق على البنود التي لم يتم تنفيذها من اتفاق الطائف وقرار مجلس الأمن رقم 1559 بما في ذلك وضع حزب ا والذي ستتم معالجته بعد الانتخابات ومن خلال الحوار والإجماع وأن تأخذ لبنان مخاوف سوريا بعين الاعتبار بينما يقوم لبنان بوضع سياسته إزاء إسرائيل واستمرار علاقته الوثيقة مع سوريا على قدم المساواة بين سيادتين، وان اتفاق الطائف سيكون القاعدة للعلاقات السياسية المستقبلية؛

(د) الاتفاق على معاقبة أي شخص تثبت مسئوليته عن اغتيال الحريري عن طريق التحقيق الذي تجريه الأمم المتحدة والسماح لمراقبين دوليين بحضور المحاكمة؛

(ه) إجراء الانتخابات في نهاية أيار (مايو) 2005 أو على أقصى حد مع أقل تأخير ممكن؛

(و) إيقاف مدراء المخابرات إلى حين ظهور نتائج تحقيق الأمم المتحدة؛

(ز) الانسحاب الكامل للجيش والمخابرات السورية مع نهاية نيسان 2005.

2. بعد إجراء الانتخابات الحرة وتشكيل حكومة جديدة البدء بمناقشات موسعة حول البنود التي لم يتم تنفيذها من اتفاق الطائف وقرار مجلس الأمن رقم 1559 بناء على المبادئ التالية:

(أ) احترام الخط الأزرق الذي يفصل بين إسرائيل ولبنان بموجب قرارات مجلس الأمن والالتزام بعدم المبادرة للهجوم ضد أهداف إسرائيلية بما في ذلك مزارع شبعا؛

(ب) نشر الجيش (اللبناني) على الحدود الإسرائيلية؛

(ج) الدمج التدريجي للجناح العسكري لحزب ا في الجيش اللبناني وموافقة حزب ا على الالتزام بقرارات الحكومة المنتخبة وإعادة نشر الصواريخ على بعد 20 إلى 30 كم عن الحدود (مع إسرائيل) كمقدمة لوضع هذه الصواريخ تحت سيطرة الحكومة؛ و

(د) نزع السلاح التام لحزب ا ضمن عملية التقدم نحو اتفاقيات إسرائيلية-لبنانية وإسرائيلية-سورية

لحكومة الولايات المتحدة :

3. اتباع أسلوب هادئ وبدون أضواء لدعم عملية نقل مؤسسية وسلمية للسلطات وإجراء انتخابات حرة، وإذا وافقت الأحزاب اللبنانية تنفيذ الخطوات المتسلسلة الآنفة الذكر.

4. حث إسرائيل على عدم التدخل سواء نظريا أو عمليا وخاصة وقف التوغلات التي تنتهك المجال الجوي اللبناني والأراضي والمياه اللبنانية حسب قرار مجلس الأمن رقم 425

5. إعادة التأكيد على أولوية انسحاب سوريا مع التوضيح بأن أعمال العنف في لبنان الموحى بها من سوريا قد تسبب في مزيد من العقوبات.

6. إعادة التأكيد على أن مسألة الوضع النهائي لحزب ا يجب أن يتم حلها من قبل اللبنانيين وان هذا الحل على استعداد للتعامل مع هذه المنظمة كحزب سياسي مشروع بعد نزع سلاحه ووقف جميع نشاطاته العنيفة (العسكرية).

7. الدخول مع سوريا بعد انسحابها الكامل وبعد الانتخابات اللبنانية في مفاوضات تهم الطرفين بما في ذلك العراق ودعم الجماعات الفلسطينية المسلحة والعلاقات الثنائية واحتمالات مفاوضات السلام بين سوريا وإسرائيل.

للاتحاد الأوروبي:

8. الاستفادة من النفوذ الاقتصادي (الأوروبي) للضغط على الحكومة اللبنانية والكتلة الموالية لإجراء الانتخابات الحرة والنزيهة في موعدها.

9. إرسال فريق لمراقبة الانتخابات في وقت يسبق موعد الاقتراع، وتقديم الدعم المالي للمجموعات اللبنانية غير الحكومية التي ستراقب الانتخابات والاستعداد لإرسال مراقبين للمحاكمة المتوقعة للمتهمين بقتل الحريري.

10. التمسك بالموقف الحالي الذي لا يشمل حزب ا في قائمة الإرهاب بشرط أن لا يقوم هذا الحزب بمثل هذا النشاط، والاستفادة من الاتصالات القائمة مع الحزب لتشجيعه على الانخراط الكامل في النظام السياسي اللبناني

11. تأجيل الموافقة على اتفاق الشراكة بين الاتحاد الأوروبي وسوريا إلى أن يتم انسحاب سوريا الكامل من لبنان وإجراء انتخابات حرة ونزيهة فيه.

12. البدء بالعمل بموجب مؤتمر باريس الثالث المخصص لمعالجة الدين العام اللبناني والذي سيعقد بعد انسحاب سوريا وتشكيل الحكومة اللبنانية.

للحكومة السورية:

13. تنفيذ تعهدها بسحب قواتها العسكرية والمخابرات الكامل من لبنان تطبيقا لقرار مجلس الأمن 1559 مع حلول نهاية نيسان 2005 وعدم إحلال قوات بديلة محلها.

14. الامتناع عن اتخاذ أية خطوات تسبب زعزعة الاستقرار أو العنف في لبنان بما في ذلك العمل السري أو بواسطة جماعات موالية لسوريا.

15. إقامة علاقات دبلوماسية طبيعية مع لبنان بما في ذلك فتح السفارات في عاصمتي البلدين وإطلاق سراح السجناء اللبنانيين.

16. وضع كل أجهزتها الأمنية والمخابراتية تحت قيادة مدنية عن طريق تشكيل مجلس مدني للأمن الوطني.

17. توضيح موقفها من مزارع شبعا بواسطة بيان رسمي يقدم لمجلس الأمن بعد إتمام انسحابها من لبنان وإجراء الانتخابات فيه.

18. تنشيط الإصلاح السياسي الداخلي عن طريق رفع حالة الطوارئ وإضفاء الشرعية على أحزاب المعارضة وإصدار عفو عام عن السجناء السياسيين وعقد مؤتمر وطني للأحزاب السياسية والشخصيات المعارضة والنشطاء لبحث المصالحة الوطنية والخطوات المؤدية لانتخابات تضم جميع الأطياف السياسية.

للحكومة الإسرائيلية

19. تجنب أي تدخل في الشؤون اللبنانية بما في ذلك إطلاق التصريحات ووقف الانتهاكات للمجال الجوي اللبناني والأراضي والمياه الإقليمية للبنان حسب ما جاء في قرار مجلس الأمن رقم 425.

20. بعد الانسحاب السوري والانتخابات والحكومة الجديدة في لبنان وبشرط استلام تأكيدات محددة قابلة للفحص خاصة حول مزارع شبعا، النظر في إجراء ترتيب تعترف من خلاله سوريا رسميا بأن مزارع شبعا هي أراضي لبنانية؛ تسليم حزب ا كل الصواريخ للجيش اللبناني وإعادة نشرها على بعد 20 إلى 30 كم شمالا (من الحدود الإسرائيلية)؛ تحرك الجيش اللبناني إلى الحدود وانسحاب إسرائيل من شبعا.

21. اختبار استعداد سوريا للسلام بعد انسحابها وبعد إجراء الانتخابات اللبنانية مع الامتناع عن ممارسة الضغط لعقد اتفاقية سلام مع لبنان قبل أن يحصل تقدم على مسار عملية السلام مع سوريا.

لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة والأمانة العامة:

22. استمرار التركيز الآن على الجزء المتعلق بالانسحاب الكامل للقوات والمخابرات السورية من قرار مجلس الأمن 1559 ومراقبة هذا الانسحاب والتأكد من تطبيقه.

23. القيام بتحقيق شامل في اغتيال الحريري وتأكيد محاسبة أي شخص تثبت مسئوليته.

24. إعادة التأكيد على التزام جميع الأطراف باحترام الخط الأزرق حسب ما ورد في قرار مجلس الأمن 425 وإدانة كل توغل داخل الأراضي والمجال الجوي أوالمياه الإقليمية.

25. تنظيم الفعاليات المتعددة الخاصة بلبنان وتوضيح دور وصلاحية مبعوثي الأمم المتحدة.

بيروت/عمان/بروكسل، 12 نيسان 2005

تقرير الشرق الأوسط رقم 39 | 12 أبريل (نيسان) 2005

سوريا بعد لبنان، لبنان بعد سوريا

1. مقدمة: تشكل الأزمة

أ- حكاية زيادة ضيق ذرع الولايات المتحدة

عملت مجموعة من الأحداث وفي تواتر سريع خلال السنوات القليلة الماضية على زيادة عزلة سوريا الإقليمية والدولية، وتسارعت هذه العملية بطريقة غير اعتيادية مع إعلان القرار (السوري) الخاص بتمديد فترة رئاسة أميل لحود واغتيال رئيس وزراء لبنان السابق رفيق الحريري.

وتم في تقرير كرايسز جروب السابق عن سوريا[1]، وصف هذه الأحداث ومنطق حتمية حدوث الأزمة: انهيار محادثات السلام الإسرائيلية-السورية في نيسان 2000؛ وفاة حافظ الأسد مباشرة بعد ذلك واختيار خليفته ابنه بشار الأقل خبرة والأضعف، وهجمات 11 أيلول (سبتمبر) 2001 على الولايات المتحدة والتركيز الذي تبع ذلك على محاربة الإرهاب. حدث كل ذلك في وسط توجه جديد للولايات المتحدة تخلّت بموجبه عن أسلوب المفاوضات الثنائية التقليدية وأصرت بدل ذلك على تغيير جذري في السياسة السورية كشرط لتحسين العلاقات. ولمنع لعبة (الفأر والقط) المفضلة لسوريا في الماضي، أي تنفيذ أقل مما هو مطلوب منها لتعود فتطالب أكثر، وصفت الولايات المتحدة مطالبها من سوريا بأنها غير قابلة للتفاوض رافضة تقديم أية حوافز محددة.

وأعلنت واشنطن قائمة مطالبها للتنفيذ الكامل بدون اتفاق يسبق التنفيذ مثل منع عبور المتمردين العراقيين الحدود السورية–العراقية، إلقاء القبض على مؤيدي المتمردين الموجودين في سوريا وتسليمهم، إعادة الأموال العراقية المودعة في البنوك السورية، إنهاء إيواء المجموعات الفلسطينية الناشطة، و لجم الحركة اللبنانية حزب ا ونزع سلاحها. وشملت القائمة أيضا انسحاب سوريا من لبنان، ولكن وكما اعترف مسؤولون أمريكيون بأن هذا المطلب أخذ مكانة ثانوية ولم يشكل أولوية لهم بل استعمل كورقة ضغط لأهداف سياسية أخرى وليس كهدف بحد ذاته. وفي هذه الأثناء حظي الجهد الرامي إلى فرض العقوبات على سوريا باهتمام أكبر في الكونغرس الأمريكي ووقع الرئيس بوش في كانون أول (ديسمبر) 2003 قانون محاسبة سوريا وإعادة السيادة إلى لبنان، وهو القانون الذي انتقد دمشق بسبب دعمها للجماعات الإرهابية والسماح للمتطوعين المسلحين بالتسلل إلى العراق وتطوير أسلحة للدمار الشامل واحتلال لبنان وفرض هذا القانون سلسلة من العقوبات يستطيع الرئيس بوش أن يختار منها ما يشاء.

ونتج عن هذا ما وصفته كرايسز جروب بحوار خطير للطرشان: فأنصاف الإجراءات السورية التي جاءت ردا على المطالب الأمريكية أقنعت واشنطن أن دمشق ليست جادة، وغياب تجاوب أمريكي أقنع دمشق بأن واشنطن كانت تسعى في أحسن الأحوال إلى إذلالها وفي أسوأ الأحوال إلى تغيير النظام السوري. وكما كنا قد شرحنا في حينه فان تجنّب حدوث أزمة يتطلب تغييرا في الأسلوب من الجانبين: شرح واضح من الولايات المتحدة للحوافز (حول العلاقات الثنائية وعملية السلام ومستقبل العراق) لمعرفة ردود فعل دمشق. ومن ناحية أخرى قيام دمشق بخطوات واضحة (كوقف دعم الجماعات العنيفة والعراق) لتثبت قرارها بأنها غيرت أسلوبها. لم يحدث أي شيء من هذا القبيل بل بدل ذلك تم تأكيد أسوأ توقعات الطرفين.

فرد النظام السوري غير المعتاد على الأسلوب الأمريكي الجديد بخليط من الخطوات شبه الإيجابية والتي لم تتلق مقابلها أي شكر أو عرفان بل تلقت سيلا من التوبيخ لخطواتها السلبية. ومن وجهة نظر دمشق فان الخطوات التي قامت بها لقت آذانا صماء ولم يقم الطرف الأمريكي بالتجاوب معها بالمثل. ومن وجهة نظر الولايات المتحدة، وسواء كان الموضوع متعلقا بالعراق أو النزاع العربي الإسرائيلي

---

[1] راجع تقرير كرايسز جروب رقم 23 "سوريا تحت حكم بشار(1): تحديات السياسة الخارجية" 11 شباط 2004 الصفحات 2 إلى 3

أو لبنان، فان تصرفات دمشق الارتجالية والتي جاءت كرد فعل تعكس تقييما منقوصا لما تتطلبه الظروف الدولية الجديدة.

حول العراق، اتهمت الولايات المتحدة وآخرون سوريا بغض الطرف عن المتطوعين الجهاديين الذين يعبرون الحدود إلى العراق وبإيواء عراقيين بعثيين كبار يشتبه بتخطيطهم وتمويلهم لهجمات المسلحين[2]. وأشارت بعض التقارير إلى علاقة بعض المؤسسات الإسلامية المختلفة والمساجد في سوريا بتجنيد الجهاديين[3].

ردا على ذلك ادعت سوريا أنها اتخذت سلسلة من الإجراءات منها:

- حماية وتحصين خط الحدود مع العراق البالغ طوله 700 كم حيث وضعت أكياسا رملية وأرسلت وحدات للمراقبة وأقامت مراكز تفتيش في عمق الصحراء[4]. وأثناء الاشتباكات في الفلوجة في شهر كانون أول (ديسمبر) 2004 قيل أن سوريا أغلقت كل معابر الحدود[5]، وأكدت أنها "تبذل قصارى جهدها لإغلاق الحدود"[6]، واعترف دبلوماسيون غربيون في دمشق ل كرايسز جروب بأن سوريا عززت بشكل كبير رقابتها على الحدود[7].

- دعوة جنود أمريكيين وعراقيين لزيارة المواقع السورية وهي دعوة لم تجد أي تجاوب[8].

- إلقاء القبض على متمردين مشتبهين بعد عودتهم من العراق وإعادة تسفير أعداد كبيرة منهم ومعظمهم من الجنسيتين الكويتية و المغربية إلى بلادهم الأصلية[9]. بينما احتجزت كثيرين آخرين في أماكن مجهولة. وحسب نشطاء سوريين لحقوق الإنسان فقد تم احتجاز ما بين 1000 إلى 2000 متمرد مشتبه بهم في مراكز اعتقال سيئة الظروف بدون توجيه تهم لهم أو محاكمتهم في ظروف مخيفة وغالبا ما تعرضوا للتعذيب وذلك منذ شهر تموز (يوليو) عام 2004[10]. "ومن المؤكد خضوع أي شخص ذهب إلى العراق ولدى عودته إلى سوريا إلى استجواب قاس وأحيانا إلى اعتقال مطول على أيدي قوات الأمن السورية"[11].

- تحسين العلاقات مع الحكومة العراقية الانتقالية، وبكلمات مسؤول تحدث بعد تشكيل الحكومة الانتقالية:" نحن نعرف العلاوي جيدا وقد عملنا معه في الماضي (ضد صدام حسين). ونحن نريد علاقات جيدة مع حكومته، ربما قد

---

[2] بلغت هذه الاتهامات ذروتها في كانون أول (ديسمبر) 2004 عندما تبين أن المتمردين الذين ألقت الولايات المتحدة والقوات العراقية القبض عليهم في الفلوجة قد خططوا للهجمات مع زملاء لهم موجودين في سوريا. ونقل عن المتمردين الذين قبض عليهم أنهم كانوا يحملون صورا لهم جمعتهم بمسؤولين سوريين وأنهم كانوا يحملون هواتف خلوية مشبوكة على خطوط دولية مصدرها غرب سوريا. راجع واشنطن بوست 8 كانون أول (ديسمبر) 2004، ونيويورك تايمز 23 كانون أول (ديسمبر) 2004. في 24 كانون أول (ديسمبر) 2004 بثت محطة تلفزيون "الحرة" الموالية لأمريكا شريطا عن اعتراف أحد المتمردين بأن له علاقات مع مسؤولين في المخابرات السورية وأنه تلقى التدريب في سوريا. وقدمت الولايات المتحدة قائمة بأسماء ستة من مسؤولي حزب البعث السابق في العراق طالبة اعتقالهم أو تسليمهم. ونقل عن مسؤول أمريكي لم يذكر اسمه قوله: "يبدو أن السوريين لم يفعلوا الكثير لمنع تسلل المتطرفين إلى العراق، ولكن الواضح أنهم لم يساعدوا في عملية دخول وخروج البعثيين من وإلى العراق... ما تزال أمامنا صعوبات كثيرة في هذا المجال وعلى سوريا أن تبذل المزيد من الجهد" واشنطن بوست 8 كانون أول (ديسمبر) 2004.

[3] راجع صحيفة ديلي تلغراف في 2 كانون أول (ديسمبر)2004. و أخبار الشرق في 5 كانون ثاني (يناير) 2004. نقلت التقارير ما قاله أحد الأئمة من أنه تلقى مساعدات من الدولة لتجنيد المتطوعين للقتال في العراق. وأخبر السفير السوري في المملكة المتحدة (سامي الخيمي) كرايسز جروب: "لماذا يقوم شخص بقبض مكافاءات كهذه بالاعتراف بذلك معرضا مصدر دخله للخطر؟ "مقابلة كرايسز جروب الهاتفية في 9 كانون أول (ديسمبر) 2004.

[4] تم تأكيد هذا عن طريق فريق صحفي عبر الحدود إلى بغداد: من مقابلات كرايسز جروب عمان كانون أول (ديسمبر) 2004.

[5] مقابلات كرايسز جروب مع رجال أعمال سوريين في دمشق كانون أول (ديسمبر) 2004.

[6] مقابلة كرايسز جروب الهاتفية مع سامي الخيمي سفير سوريا في المملكة المتحدة 9 كانون أول (ديسمبر) 2004.

[7] مقابلات كرايسز جروب في شهري تشرين ثاني (نوفمبر) وكانون أول (ديسمبر) 2004.

[8] راجع إبراهيم الحامدي في الحياة 24 تشرين أول (أكتوبر) 2004.

[9] راجع "الخليج" 28 تشرين ثاني (نوفمبر) 2004: Arabicnews.com 10 شباط (فبراير) 2005.

[10] تشمل هذه المراكز صدنايا على بعد 20 شمال دمشق وعلى الأرجح أبو شمط في دمر شمال شرق دمشق.ويدير المركزين قسم التحقيقات التابع لقوات الأمن السورية العسكرية. مقابلات كرايسز جروب مع المحاميين السوريين هشام المنها وأنور البنّي في دمشق 2 و3 شباط (فبراير) 2005.

[11] مقابلة كرايسز جروب مع دبلوماسي غربي في دمشق يراقب سياسات سوريا حول حقوق الإنسان، دمشق 1 كانون أول (ديسمبر) 2004

يساعدنا ذلك حتى مع الولايات المتحدة"[12]، وأثناء زيارة العلاوي لدمشق في تموز (يوليو) 2004 حظي "بحفاوة بالغة"[13]، وتم إعادة العلاقات الدبلوماسية الرسمية بين البلدين بعد مرور اثني عشر عاما على انقطاعها وأعاد العراق فتح سفارته في دمشق في 4 كانون أول (ديسمبر) 2004.

- تحويل مبالغ محدودة من الأموال العراقية المودعة في سوريا، ففي مطلع كانون ثاني (يناير) 2005 أفرجت سوريا عن 4 ملايين دولار من أصل 264 مليون دولار من الأموال العراقية التي ما تزال موجودة في بنك سوريا التجاري بالرغم من استمرار ادعاء رجال الأعمال السوريين بان تلك المبالغ كانت لهم مقابل عمليات تجارية حصلت قبل الغزو الأمريكي. وعبر مسؤولون سوريون عن "استعدادهم الكامل للتعاون في هذا الموضوع" بشرط إعادة التدقيق في الادعاءات السورية الخاصة في سوريا والعراق"[14]. و

- التعاون مع انتخابات كانون ثاني (يناير) 2005 عن طريق السماح للمنظمة الدولية للهجرة (IOM) بتنظيم عملية الاقتراع للعراقيين المهجرين في سوريا، وأعرب مندوبو هذه المنظمة عن ارتياحهم، وأشاروا إلى قرار الحكومة السورية ببث أخبار الانتخابات على التلفزيون والإذاعة الحكوميتين[15].

لم تجد الولايات المتحدة كل هذه الإجراءات كافية. ويدعي مسؤولون سوريون بأنهم شعروا بالاستغراب، وبعد مرور يومين على اللقاء الذي تم بين نائب وزير الخارجية الأمريكي ريتشارد أرميتاج في 2 كانون ثاني (يناير) 2005 مع الرئيس بشار الذي عرض أثناءه الإجراءات المتخذة للحد من عمليات التسلل عبر الحدود وتعهد بأن ينظر في أسماء الأشخاص الستة الذين تطالب الولايات المتحدة بهم[16]، فان الرئيس بوش خص سوريا بالذكر كدولة "ما تزال تأوي الإرهابيين وتتابع الحصول على أسلحة القتل الجماعي" كما ورد في خطابه عن حال الاتحاد[17]، "نحن لا نفهم هذا الكلام، لقد اعترفوا أننا نحرز التقدم حول موضوع الحدود، وقد تحدثنا عن تعاون أوسع ووعدنا بأن نفحص القائمة ثم يخرج الخطاب الاستفزازي وكما قلنا للأمريكيين: كلما استجبنا لأحد مطالبكم تتقدمون بمطالب جديد"[18].

والخلاصة أن من الصعب قياس مدى الدور السوري في تسهيل التمرد في العراق. واعترف مسؤولون سوريون ل كرايسز جروب أنهم كانوا متساهلين على الحدود في بداية الحرب[19]. وهناك ما يدعو للاعتقاد بأن هذا قد تغير مع مرور الوقت نتيجة للضغوط الأمريكية والاعتقاد السائد في دمشق بأن التمرد هو بشكل رئيسي موضوع داخلي وأصبح قادرا على إدارة شؤونه مستقلا[20]. وهناك افتراض عام وصحيح على وجود بعثيين عراقيين سابقين في سوريا نظرا للعلاقات التاريخية بين فرعي حزب البعث. وأخبر سوري على اطلاع جيد بالأمور كرايسز جروب انه تم تضخيم الاتهامات المتعلقة بتهريب الأسلحة والأموال، لأن الأسلحة والأموال متوفرة بكثرة في العراق. ومع ذلك قدمت القبائل في سوريا "دعما لوجستيا" للمتمردين على شكل ملاذ قبل عودتهم إلى العراق[21]. وأضاف ناشط سياسي سوري

---

[12] مقابلة كرايسز جروب مع مسؤول سوري، تموز (يوليو) 2004

[13] مقابلة كرايسز جروب مع صحفي سوري، دمشق تشرين أول (أكتوبر) 2004

[14] الكلام منقول من وكالة أسوشيدت برس، 12 كانون ثاني (يناير) 2005. الأرقام المذكورة في هذا التقرير عن الدولارات هي دولارات أمريكية

[15] مقابلة كرايسز جروب مع لويس مارتينيز بيتانزوس منسق منظمة الهجرة الدولية، دمشق 2 شباط (فبراير) 2005. وبعد ذلك سمحت سوريا وبعد تأخير لهذه المنظمة بممارسة نشاطها مما لم يفسح إلا وقتا قصيرا لفتح مراكز الاقتراع خارج دمشق. وكانت سوريا هي آخر بلد يسمح للمهجرين العراقيين بالتصويت داخل أراضيها أي بعد أسبوعين من موافقة إيران، مما فسر جزئيا لماذا كان عدد العراقيين المسجلين للتصويت منخفضا (16583) من أصل جالية يبلغ عددها 45000 شخص. المصدر السابق. إضافة إلى ذلك منعت مذكرة تفاهم بين الحكومة السورية ومنظمة الهجرة الدولية استخدام اللغة الكردية في الانتخابات ومواد الترويج للحملات التي وزعت في سوريا بالرغم من السماح بذلك داخل مراكز الاقتراع.

[16] حول قائمة الستة أشخاص راجع الحاشية رقم 3 أعلاه.

[17] خطاب حال الاتحاد الأمريكي في 2 شباط (فبراير) 2005 http://www.whitehouse.gov/news releases/2005/02/20050202- 11.html

[18] مقابلة كرايسز جروب مع مسؤول سوري شباط (فبراير) 2005.

[19] راجع تقرير كرايسز جروب "سوريا تحت حكم بشار(1)" صفحة 19.

[20] مقابلة كرايسز جروب مع مسؤول سوري كانون أول (ديسمبر) 2004.

[21] لأن الروابط القبلية تمتد عبر الحدود خاصة في منطقة دير الزور في شرق سوريا يرتبط بعض المتمردين بعلاقات أسرية في سوريا حيث

إلى ذلك مدعيا بأنه بينما كان يتم القبض على الجهاديين وضربهم عند عودتهم "لتخويفهم من مغبة نقل معاركهم إلى سوريا" فان مغادرتهم الأولى إلى العراق لم تواجه صعوبات كبيرة[22]. ووصف ناشط سوري في مجال حقوق الإنسان "سياسة سورية ذات الحدين" التي حاولت أن ترضي طرفين: هما الإسلاميين النشطاء عن طريق تسهيل مهمتهم في العراق والولايات المتحدة عن طريق مضايقة هؤلاء لدى عودتهم[23].

أما فيما يتعلق بتهمة أن للسوريين علاقات ضبابية مع المتمردين الإسلاميين فهناك مؤشرات أولية على ما يصفه بعض المراقبين السوريين "بالتحالف العلماني الملتزم" وهو في الحقيقة تحالف يضم الجهاديين والقوميين العرب أو البعثيين ضد الاحتلال الأمريكي للعراق[24]. وحسب رأي بعض السوريين فان قوات الأمن تسمح أحيانا للإسلاميين في حلب ومؤخرا في دمشق بدعوة النشطاء لمساعدة التمرد في العراق[25]، مما أدى في هذه الحالة إلى توافق واقعي بين "التيار المحافظ الذي تتبناه الدولة للإسلام وراديكالية أو تشدد الحركة السلفية"[26]. وعلى هذا لم تتمكن كرايسز جروب من دعم أي من الادعاءين؛ إضافة لخلو الكتب من التحريض ضد إسرائيل أو الولايات المتحدة أو نداءات للانضمام للجهاد أو تمجيد المنتحرين في مكتبة الطلاب التابعة لمعهد أبو النور (وهو أكبر مدرسة دينية رسمية في دمشق). ولكون النظام الذي يسيطر عليه العلويون علمانيا في بلد أغلبية سكانه الساحقة هم من السنة، و شهد نموا في التوجه الإسلامي مؤخرا[27]، فان مثل هذه اللعبة ستشكل تهديدا خطيرا بعيد المدى وسيكون علامة على اليأس.

ومهما كان نطاق التعاون السوري مع التمرد فان موقفها المعلن الذي جاء ردا على الضغط الأمريكي وسياستها التي تطلق المبادرات المتلاحقة قد عادت على دمشق بنتائج عكسية: أولا، أكدت دمشق عن طريق إبداء التعاون المتأخر حول بعض المسائل شكوك الولايات المتحدة بأنها كانت تخفي بعض الأمور، وفي حالات كثيرة كانت تمارس الكذب المكشوف ولبعض الوقت؛ وثانيا، عن طريق التعاون تحت الضغط فان دمشق أكدت رأي الولايات المتحدة بأن الضغط وليس الحوار وان (العصا وليس الجزرة) هي المفتاح للتحرك للأمام.

القرار المتأخر في المساعدة على إلقاء القبض على أخ صدام حسين غير الشقيق (سبعاوي إبراهيم الحسن) وهو أحد العراقيين المطلوبين ضمن قائمة الستة- هذا القرار كان ببساطة مؤشرا على الأسلوب السوري الفاشل؛ وجاء هذا الاعتراف بعد محاولات إنكار متكررة من سوريا لوجود الستة المطلوبين، وادعى السوريون أن اثنين من هؤلاء الستة ليسوا في الأراضي السورية واثنين آخرين لا يعرفون عنهم شيئا،واثنين هما من البعثيين المتقدمين في السن و يقيمان في سوريا من مدة طويلة ولا علاقة لهما بالتمرد[28]، وذلك بعد الضغوط الأمريكية المستمرة. وفي حين أن نوايا سوريا من هذا الاعتراف قد تكون حسنة إلا أن الرسالة بالنسبة للولايات المتحدة كانت واضحة: كانت سوريا تعرف أين يختبئ الممولون والمنظمون الرئيسيون للمتمردين وان تجاوبها الآن كان نتيجة الخوف من تزايد العزلة. وعدم استقبال هذه المبادرة بحرارة في واشنطن يجب أن لا يكون مفاجئا.

حول المسائل العربية-الإسرائيلية، تعتقد الولايات المتحدة وإسرائيل أن الجماعات الفلسطينية الناشطة الموجودة في سوريا قد استمرت في التعاون لتوفير المال للقيام بهجمات في إسرائيل والأراضي المحتلة. وهناك عنصر جديد نسبيا أضيف إلى مصادر قلق إسرائيل والولايات المتحدة – وبشكل أقل ضجيجا- على السلطة الفلسطينية وهو اختراق حزب ا للضفة الغربية ومساعداته المالية والعملية لمختلف الجماعات الفلسطينية المسلحة[29].

يستطيعون طلاب اللجوء عندهم قبل العودة للقتال في العراق. مقابلة كرايسز جروب في دمشق، كانون ثاني (يناير) 2004.

[22] مقابلة كرايسز جروب في دمشق 1 كانون أول (ديسمبر) 2004.

[23] مقابلة كرايسز جروب في دمشق 3 كانون أول (ديسمبر) 2004

[24] مقابلات كرايسز جروب في دمشق كانون أول (ديسمبر) 2004 إلى شباط (فبراير) 2005.

[25] المصدر السابق. هذا الأسلوب الذي قيل أنه صمم خصيصا للسيطرة على الجهاديين المقاتلين في العراق قاموا باحتواء زعمائهم المحليين وجمعوا المعلومات عن المتطوعين وقيل أنه تم تطبيقه في حلب مباشرة بعد الغزو الأمريكي. تقرير كرايسز جروب "سوريا تحت حكم بشار(1)" صفحة 18.

[26] مقابلة كرايسز جروب مع مفكر سوري بارز في دمشق كانون أول (ديسمبر) 2004.

[27] راجع تقرير كرايسز جروب حول الشرق الأوسط رقم24 "سوريا تحت حكم بشار(2): تحديات السياسة الداخلية"، 11 شباط (فبراير) 2005.

[28] مقابلة كرايسز جروب مع مسؤول سوري في شباط (فبراير)2005 ومع دبلوماسي في بيروت 9 شباط (فبراير) 2005.

[29] الادعاءات بالدعم المالي من حزب ا للعمليات المسلحة الفلسطينية جاءت أيضاً من عضو في كتائب شهداء الأقصى في صنداي تايمز 3 نيسان (أبريل) 2005. للاطلاع على وجهة نظر إسرائيلية مفصلة ومبنية على

وهنا أيضا يتحدث السوريون عن سلسلة من المبادرات قاموا بها على أمل تهدئة خواطر الولايات المتحدة:

- إغلاق مكاتب الجماعات الفلسطينية المتشددة في دمشق. في وقت أعلن فيه النظام السوري أن تلك الجماعات الفلسطينية تدير مكاتب إعلامية فقط مشتكيا انه يمكن لهؤلاء القادة الفلسطينيين أن يقيموا في القاهرة[30]، أغلق النظام رسميا هذه المكاتب[31]، وقيل أن دمشق أمرت خالد مشعل وهو أحد زعماء حماس ونائبه موسى أبو مرزوق وسكرتير الجهاد الإسلامي رمضان عبدا شلح بعدم التحدث مع الصحافة أو العمل بدون أضواء[32]، وقيل أنه طلب من مشعل مغادرة سوريا[33]، مع أنه كان هناك لمقابلة الزعيم الفلسطيني محمود عباس أثناء زيارته لدمشق في كانون أول (ديسمبر) 2004[34]، وتبين على أية حال أن مكان وجود مشعل ليس على رأس اهتمامات الولايات المتحدة التي أكدت على أهمية "النشطاء" من درجة أقل الذين من المفروض أن يبقوا على اتصال مع نظرائهم في الضفة الغربية وغزة[35].

- إرسال رسائل حول رغبة سوريا في السلام: يبدو أن رد فعل سوريا الرئيسي على الضغط على الجبهة الإسرائيلية-الفلسطينية هو هجوم دبلوماسي يهدف إلى إقناع المجتمع الدولي باستعدادها للعودة إلى المفاوضات والى تحويل اللوم على إسرائيل. ومن منبر إلى آخر كرر بشار الأسد هذه الرغبة إلى حد إعلان قبوله بأن تبدأ المحادثات بدون شروط مسبقة، وهي كلمة السر للقول بأنه ليس من الضروري أن تبدأ تلك المباحثات من النقطة التي وصلت إليها عام 2000 وهو المطلب السوري التقليدي المعروف. وهذه النقطة الأخيرة التي يعتبرها بعض الإسرائيليين حاسمة لم تخلو من التباس وتناقضات خاصة بها. فقد أخبر سامي الخيمي سفير سوريا في لندن كرايسز جروب بأنه ليس من الضروري أن تبدأ المباحثات "بالضبط" من النقطة التي وصلت إليها، "كنا نقول منذ وقت طويل (بالتأكيد بدون شروط مسبقة) ومع ذلك كل ما يفعله الإسرائيليون هو القول أننا نخادع"[36]. وبعد أن أكد متحدث مصري بأن سوريا لم تعد تصر على ما سمي بموافقة رابين المسبقة (أي الالتزام بانسحاب شامل من الجولان على افتراض تحقيق شروط إسرائيل) وقال مسؤول سوري ل كرايسز جروب أن:

> من ناحية قانونية هناك ما يسمى باستمرارية الدولة. لقد كانت في إسرائيل عدة حكومات، ولكننا لم نكن نتفاوض مع حكومة بعينها بل مع دولة. وكذلك لم يدع أحد أبداً أن عملية السلام قد انتهت ولم يعلن أحد أنها لم تعد موجودة.

مصادر استخبارية راجع آموس هاريل "مصنع الإرهاب التابع لحزب ا في السلطة الفلسطينية" صحيفة هآرتس 11 كانون ثاني (يناير) 2005. للاطلاع على تقييم مبني على مقابلات مع مسؤولين في السلطة الفلسطينية ونشطاء كتائب شهداء الأقصى راجع تقرير وكالة أسوشيدت برس في 12 نيسان (أبريل) 2004. راجع أيضا تقرير كرايسز جروب حول الشرق الأوسط رقم 21 "التعامل مع حماس" 26 كانون ثاني (يناير) 2004 صفحة 18، وتقرير كرايسز جروب حول الشرق الأوسط رقم 7 "ألعاب قديمة، قواعد جديدة: الصراع على الحدود اللبنانية الإسرائيلية" 18 تشرين ثاني (نوفمبر) 2002 صفحة 13 إلى 15. وتعتقد المخابرات الإسرائيلية بأنه في الفترة الأخيرة قلّص حزب ا نشاطه الفلسطيني كرد على التطورات اللبنانية وطلب سوريا. صحيفة هآرتس، 5 نيسان (أبريل) 2005.

[30] "لماذا تفترض الولايات المتحدة أنهم يشنون الهجمات الإرهابية من سوريا بينما ترحب بوجودهم في القاهرة؟" من مقابلة مع كرايسز جروب مع بشرى كنفاني الناطقة باسم الخارجية السورية في دمشق 29 تشرين أول (أكتوبر) 2004.

[31] "طلبوا منا إغلاق المكاتب الفلسطينية في دمشق وهكذا كان" تشرين ثاني (نوفمبر) 2004.

[32] حسب مراسلين سوريين يعملون مع وكالات أنباء أجنبية رفض كل من مشعل وأبو مرزوق إجراء مقابلات صحفية. مقابلات كرايسز جروب في دمشق، أيلول (سبتمبر) وتشرين ثاني (نوفمبر) 2004 وحاولت كرايسز جروب الاتصال بهذين الرجلين في شهر تشرين ثاني (نوفمبر) وقيل لنا أنهما "غير موجودين".

[33] مقابلات كرايسز جروب مع دبلوماسيين غربيين في دمشق 27 تشرين أول (أكتوبر) 2004.

[34] راجع صحيفة الحياة 6 كانون أول (ديسمبر) 2004.

[35] مقابلة كرايسز جروب في واشنطن كانون ثاني (يناير) 2005. وأما إسرائيل من جانبها فقد ظلت تؤكد أنها تحمل سوريا المسؤولية مباشرة لنشاط الجماعات الفلسطينية المسلحة وعليه قامت في تشرين أول (أكتوبر) 2004 بقصف ما اعتبريه معسكر تدريب للمسلحين الفلسطينيين في سوريا.

[36] مقابلة كرايسز جروب الهاتفية 9 كانون أول (ديسمبر) 2004

إذن نحن ما نزال في نفس عملية السلام ولذلك سنتابع من حيث وصلت إليه المباحثات[37].

وأكثر من ذلك بين مسؤولون سوريون رغبتهم الواضحة في أحاديث مع كرايسز جروب في بحث حلول جذرية للصراع مع إسرائيل. عندما أصدرت كرايسز جروب تقريرها[38]، الذي ضمنته خطة سلام شاملة كان رد فعل المسؤولين السوريين فاترا لفكرة الاستفادة من مساهمة جهة غير حكومية (المقصود هنا كرايسز جروب). وخلال الأشهر الأخيرة، وفي تناقض صريح مع موقفهم السابق، بدءوا يتحدثون بتعمق مثير للدهشة عن ذلك الاقتراح مبدين ملاحظاتهم على نقاط الخلاف والاتفاق (الخلاف بشكل رئيسي حول التفاصيل والتسلسل وليس حول الجوهر)، وألمحوا إلى إمكانية استخدام ذلك الاقتراح كقاعدة مفيدة للمفاوضات[39]. وفي حين أن المصافحة بالأيدي بين الرئيس بشار والرئيس الإسرائيلي كتساف في 8 نيسان (أبريل) 2004 أثناء جنازة البابا يوحنا بولص الثاني كانت ذات طابع رمزي إلا أنها لم تخلو من المعاني: فحتى في أوج المفاوضات الإسرائيلية-السورية عامي 1999-2000 رفض المسؤولون السوريون المصافحة العلنية قائلين أن المصافحة تأتي بعد الاتفاق على السلام.

- اتخاذ خطوات لبناء الثقة ومن قبيل الابتعاد والتخلي عن المبدأ القديم الذي كان يعتبر أي مبادرة باتجاه إسرائيل رضوخا غير مناسب. ويشير المسؤولون السوريون إلى عدة مبادرات صغيرة. ففي أيلول (سبتمبر) عام 2004 أمر الرئيس بشار بإعادة بناء القنيطرة، البلدة التي لها قيمة رمزية كبيرة وتقع على الجانب السوري من خط وقف إطلاق النار في مرتفعات الجولان والذي استخدم وضعها المدمر للدلالة على العدوان الإسرائيلي[40]. وفي شهر تشرين أول (أكتوبر) ألغت الجبهة الوطنية التقدمية وهي تحالف يضم سبعة أحزاب قانونية بما فيها حزب البعث اللغة المناوئة لإسرائيل في الميثاق[41]. وفي مطلع كانون أول (ديسمبر) وافقت الحكومة على اقتراح قدمه مزارعون دروز يعيشون في الجولان الذي تحتله إسرائيل لبيع التفاح

---

[37] مقابلة كرايسز جروب في دمشق 6 تشرين أول (أكتوبر) 2004. وأضاف وزير الإعلام مهدي دخل ا :" هذا ليس شرطا بل العكس (أي البدء من نقطة الصفر) هو الشرط" من مقابلة مع كرايسز جروب في دمشق 27 تشرين أول (أكتوبر) 2004.

[38] راجع تقرير كرايسز جروب حول الشرق الأوسط رقم 4 (نهاية اللعبة في الشرق الأوسط(3): إسرائيل وسوريا ولبنان: كيف ستبدو صورة الحل السلمي الشامل. 16 تموز (يوليو) 2002. وتنص الخطة على انسحاب إسرائيلي كامل إلى حدود 4 حزيران (يناير) 1967؛ و سيادة إسرائيل على بحيرة طبريا ونهر الأردن والوصول إلى الأراضي المجاورة؛ وسيادة سورية على الأراضي حتى بحيرة طبريا والوصول إلى المياه القريبة وترتيبات أمنية تشمل مناطق منزوعة السلاح واتفاقيات لتقاسم المياه وإقامة علاقات دبلوماسية كاملة وعلاقات سلام طبيعية.

[39] مقابلات كرايسز جروب في دمشق، تشرين أول (أكتوبر) إلى كانون أول (ديسمبر) 2004. على سبيل المثال علّق مسؤول مطلع على المفاوضات السابقة على" محمية وادي الأردن الطبيعية" في الجانب السوري من الحدود التي دعت إليها كرايسز جروب كوسيلة لضمان مصادر المياه وتسهيل الوصول المشترك. فقد تم وصف إجبار سوريا على السماح للزوار الإسرائيليين " كخطوة أحادية الجانب ضد السيادة السورية". كما اقترحت كرايسز جروب جدولا زمنيا من سنتين لانسحاب إسرائيل، وهو الاقتراح الذي انتقده نفس المسؤول بقوله أن المدة تلك طويلة " أفضل أن تكون المدة ستة اشهر أو شيء من هذا القبيل. ألم يخرجوا من جنوب لبنان في 24 ساعة؟". وتساءل أيضا عن الوجود الأمني المقترح بإشراف الولايات المتحدة لمراقبة تنفيذ الاتفاق معبرا عن شكوكه "برغبة سوريا بوجود قوات أمريكية عند هذه الحدود" إضافة إلى وجودها عند الحدود العراقية. وأخيرا ومع قبول فكرة العلاقات الطبيعية أعرب هذا المسؤول عن قلقه من تبادل السفراء خلال 72 ساعة من بدء سريان المعاهدة:" لا نستطيع قبول رفع علم إسرائيلي في دمشق وما يزال الجنود الإسرائيليون فوق أراضينا". واقترح بدل ذلك انه طالما بقي جنود إسرائيليون يمكن لدولة ثالثة أن تمثل مصالح إسرائيل في سوريا. وفي حين ستبدو معظم هذه الملاحظات عادية لمراقبي المفاوضات الإسرائيلية- السورية السابقة إلا أن الاستعداد للدخول في نقاش غير رسمي وجاد هو أمر جدير بالاهتمام.

[40] قال مسؤول في قوات مراقبة فك الاشتباك أن المسؤولين المحليين أكدوا له أن العمل سيبدأ عام 2005. وفي رأيه "أن الخطة جدية" من مقابلة كرايسز جروب في معسكر فوار قرب القنيطرة 2 كانون أول (ديسمبر) 2004. وفي الحقيقة تبدو الاستعدادات لذلك جارية مثل شق طريق باتجاهين لتوسيع الطريق بين خان عربة والقنيطرة.

[41] لقد تم إحلال عبارة تدل على الالتزام "بمبادئ القانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة لحل الصراع العربي الإسرائيلي المبني على مبادئ الحقوق والعدل والقانون الدولي محل عبارة" لا سلام ولا مفاوضات ولا اعتراف بإسرائيل". جاء ذلك في (أخبار الشرق) 15 تشرين أول (أكتوبر) 2004. وقال عضو في الجبهة الوطنية التقدمية أن التغيير كان بمبادرة شخصية من الرئيس بشار: "لإرسال رسالة للأمريكيين" من مقابلة كرايسز جروب في دمشق 25 تشرين أول (أكتوبر) 2004.

في سوريا بحيث يسمح لمئات الشاحنات عبور نقطة العبور المغلقة دائما عند بوابة شارلي قرب القنيطرة[42]. وتغاضت الحكومة السورية عن مشاركة مواطنيها في مؤتمرات دولية عديدة يشارك فيها الإسرائيليون بما في ذلك ندوات حول منع انتشار أسلحة الدمار الشامل الذي عقد في سيؤول (تشرين ثاني "نوفمبر" 2004) والقاهرة "كانون ثاني (يناير) 2005"[43]، وأخبر مسؤولون سوريون كرايسز جروب بأن هناك خطوات أكثر وضوحا قيد الدراسة[44]، بشرط أن "نرى أن الأمور تتحرك نحو المفاوضات بإشراف الولايات المتحدة"[45].

لم تفلح هذه المبادرات السورية في جعل الولايات المتحدة تتجاوب معها. فالطبيعة المتكاملة لتلك المقترحات، أي عدم القدرة على الابتعاد عن الجماعات الفلسطينية المتشددة وغياب دلائل وإشارات واضحة وملفتة للنظر على التقرب من إسرائيل مثل دعوة اليهود الإسرائيليين إلى دمشق أو إعادة رفات الجاسوس الإسرائيلي ايلي كوهين الذي تم إعدامه والذي اقترحته كرايسز جروب على المسؤولين، كل ذلك ساهم في تعزيز الاعتقاد بأن هذه المقترحات كانت من أجل تخفيف الضغط الخارجي أكثر من كونها مؤشرا على تغيير جريء في السياسة السورية. ولقد تم اعتبارها والتعامل معها كمحاولات واضحة لتحويل الانتباه ولكنها لم تكن غير قادرة على تغيير الرأي العام الإسرائيلي بل ذهبت هباء إلى حد كبير مؤكدة وجهة النظر الأمريكية والإسرائيلية القائلة بأن النظام السوري أحس بالضغط وأن المزيد من هذا الضغط وليس التخفيف منه هو المطلوب. وكما لاحظ مسؤول إسرائيلي: النظام البعثي محاصر وليس لنا مصلحة في إنقاذه، كما أنه لدينا ما يكفينا من مشاكل مع الفلسطينيين وموضوع انسحابنا من غزة. فالسوريون يريدون أن تبدأ المفاوضات لا للتوصل إلى اتفاق بل يريدون إنقاذ حكمهم وهم اليوم ضعفاء وهذا ليس وقت مناسب لتقديم المساعدة لهم[46].

ولا يتفق كل الإسرائيليين مع هذا الرأي، إذ أصر مسؤول سابق على ضرورة أن تختبر إسرائيل حسن نوايا بشار بأن تقبل عرضه، وعبر هذا المسؤول عن ضيقه من موقف الحكومة الإسرائيلية:" متى بالتحديد نريد أن نتفاوض معهم؟ عندما يشعرون بأنهم أقوياء"؟[47].

على أية حال فان حوادث مثل الهجوم الانتحاري الذي حصل في 25 شباط (فبراير) 2005 في تل أبيب والذي توجهت الشكوك حوله إلى حزب ا أولا ثم إلى خلية الجهاد الإسلامي التي أعلنت مسئوليتها ومقرها دمشق[48]، يفوق في أهميته أي شيء آخر إيجابي قامت به دمشق.

ب. زيادة العزلة السورية

خلال معظم الفترة السابقة اتبعت فرنسا أسلوبا مغايرا لأسلوب الولايات المتحدة. فمن ناحية تقليدية علقت باريس آمالا كبيرة منذ البداية على الرئيس بشار وذلك من منطلق حرصها على المحافظة على نفوذها والتقليل من نفوذ واشنطن على المسرح اللبناني-السوري. وقام الرئيس شيراك شخصيا بأخذ المبادرة ودعا نظيره السوري للقيام بزيارة رسمية إلى فرنسا في حزيران (يناير) 2001 وأرسل مستشارين موثوقين للمساعدة على توجيه مسار التحديث

---

(42) مقابلة كرايسز جروب مع مسؤول في قوات مراقبة فك الاشتباك، معسكر فوار 2 كانون ثاني (يناير) 2004. راجع أيضا صحيفة الحياة 24 كانون أول (ديسمبر) 2004. سمح للشاحنات المحملة بالتفاح عن طريق اللجنة الدولية للصليب الأحمر بالدخول إلى سوريا في منتصف آذار (مارس) 2005. راجع إذاعة (BBC) 14 آذار (مارس) 2005.

(43) مقابلة كرايسز جروب مع أكاديمي سوري شارك في المؤتمر، دمشق 5 شباط (فبراير) 2005.

(44) شملت الخطوات التي اقترحتها كرايسز جروب دعوة مؤسسة إعلامية إسرائيلية لمقابلة مسؤول كبير؛ والموافقة على مقابلات متزامنة مع قناة الجزيرة مع مسؤول إسرائيلي وسوري؛ ودعوة شخصية يهودية بارزة لإجراء محادثات غير رسمية (يوري ساغوي) الذي انتقد أسلوب إدارة رئيس وزراء إسرائيل السابق (أيهود باراك) في مفاوضات عام 1999-2000؛ وتسليم رفات الجاسوس الإسرائيلي ايلي كوهين الذي تم اكتشاف أمره وإعدامه قبل حوالي 40 سنة. وبكلمات مسؤول سوري كبير: "هذه أفكار مثيرة للاهتمام وبعضها مبالغ فيه بالنسبة لنا ولكنك سترى شيئا. فقط انتظر". من مقابلة كرايسز جروب في دمشق حزيران (يناير) 2004. وعلق وزير الخارجية السوري فاروق الشرع مؤخرا: "إذا تم إحراز تقدم حقيقي في المحادثات مع إسرائيل فان سوريا ستعيد رفات ايلي كوهين". نشرت في يدعوت أحرونوت 30 آذار (مارس) 2005.

(45) مقابلة كرايسز جروب مع المتحدثة باسم وزارة الخارجية السورية بشرى كنفاني في دمشق 28 تشرين أول (أكتوبر) 2004.

(46) مقابلة كرايسز جروب في تل أبيب كانون أول (ديسمبر) 2004

(47) مقابلة كرايسز جروب في تل أبيب، كانون أول (ديسمبر) 2004.

(48) ادعى الجهاد الإسلامي مسئوليته عن هذا الهجوم من بيروت. راجع وكالة رويترز 27 شباط (فبراير) 2005. فمن الأرجح أن هذا التنفيس "النشاط المنظمة الإعلامي" عن طريق لبنان قد تم توجيهه من دمشق للتخفيف من الضغوط الدولية.

الإداري وإرسال مساعده المقرب جان–فرانسوا جيرو (الذي كان مستشارا رئاسيا) كسفير إلى دمشق. وبدأت هذه الآمال بالذبول عندما لم تتحقق التغييرات الموعودة وبعد أن تم تهميش المصلحين ذوي الثقافة الفرنسية في مؤسسات جديدة كان من المفروض أن تقود الإصلاحات الاقتصادية والإدارية[49]. وفي حركة سلبية إضافية إزاء فرنسا أرسي عطاء للتنقيب عن حقول جديدة للغاز لائتلاف أمريكي-بريطاني-كندي وليس لشركة (توتال) الفرنسية[50]، ولكن الأهم من ذلك كان سياسة سوريا في لبنان نظرا لاهتمام فرنسا التاريخي بذلك البلد وعلاقاتها القوية بعدد من المجموعات اللبنانية وعلاقات الرئيس شيراك الشخصية مع الحريري. وحذر المسؤولون الفرنسيون تكرارا الرئيس بشار من التدخل الزائد في السياسة اللبنانية الداخلية؛ وكما تم بحثه أدناه فان قرار 3 كانون أول (ديسمبر) 2004 لتمديد فترة رئاسة لحود أثار بالتأكيد غضب القصر الرئاسي في باريس. ولكن في ذلك الوقت فان الثقة التي نشأت سابقا بين بشار وشيراك كانت قد تبخرت. وكما قال عضو في المعارضة السورية كرايسز جروب: "إبعاد الأمريكيين شيء واستعداء الفرنسيين وخاصة شيراك، وهو الذي قام بدور الحاجز أمام الخطط الأمريكية، هو شيء آخر"[51]، فبالنسبة لشيراك الذي رأى في بشار رئيسا واعدا أصبح الآن "شابا غير قابل للإصلاح"[52].

وشيئا فشيئاً بدأ آخرون يفقدون ثقتهم، فالمملكة المتحدة التي استثمرت في سياسة الحوار البناء كانت قد رحبت بالرئيس بشار وحثت على استئناف المفاوضات الإسرائيلية–السورية، بدأت بالتدريج بتغيير لهجتها[53]، وانضمت بعض الدول العربية إلى هذه الجوقة، فالأردن الذي حاول ملكها في وقت سابق أن يقوم بدور الوسيط بين واشنطن والرئيس السوري الجديد[54]، أصابه الإحباط تدريجيا. ففي منتصف عام 2004 قال مسؤولون أردنيون كبار ل كرايسز جروب بأنهم لا يثقون بالرئيس بشار وأنهم يشعرون بأن آمالهم الأولية بأنه سيتصرف كمصلح كانت في غير محلها. وبعد ذلك بوقت قصير اتهموا سوريا باختلاق المشاكل على حدودهم عن طريق السماح "للمتآمرين" بالدخول إلى الأردن[55]، وبإيواء متمردين عراقيين[56]. في نفس الوقت اتهم مسؤولون عراقيون سوريا بإيواء المتمردين ومساعدة" الإرهابيين"[57].

وزادت التطورات الإقليمية من عزلة سوريا. فانتخاب محمود عباس رئيسا للسلطة الفلسطينية والتزامه بضبط الجماعات المسلحة وعودة الحركة المتواضعة لعملية السلام كلها قد سلطت الأضواء على إيواء دمشق لمسئولي حماس والجهاد الإسلامي والكوادر الأصغر ودعم دمشق لحزب ا الذي وضعت الولايات المتحدة وإسرائيل، وبدرجة أقل السلطة الفلسطينية، اللوم عليه لتمويل ودعم العنف في الأراضي المحتلة[58].

ومن وجهة نظر دمشق لم يكن كل شيء قاتما، فخلال هذه الفترة قام بشار بحملة دبلوماسية لتقوية العلاقات مع عدد من الدول، وبدأ هذه الحملة في تموز (يوليو) 2004 بزيارة الصين والتي تبعتها اتفاقيات

[49] ماهر مجتهد المستشار الاقتصادي للرئيس بشار هو أحد القلائل الذين استمروا في عملهم من اصل الفريق التكنوقراطي الذين عملوا مع فرنسا. من مقابلات كرايسز جروب مع مسؤول سوري وصحفي سوري في دمشق، كانون ثاني (يناير) 2005.

[50] أعطي العقد لتطوير حقول الغاز في منطقة تدمر لائتلاف بترو-الكندية. ولكن بعد ذلك تم تحويله إلى شركة البترول التي تملكها الدولة (تقرير عن سوريا) 7 شباط (فبراير) 2005.

[51] مقابلة كرايسز جروب في باريس، آذار (مارس) 2005.

[52] مقابلة كرايسز جروب مع مسؤول فرنسي في باريس، آذار (مارس) 2005.

[53] مقابلة كرايسز جروب مع دبلوماسي بريطاني في بيروت، آذار (مارس) 2005. وأوضح رئيس الوزراء بلير أيضا أنه آن الأوان للرئيس بشار لتغيير أسلوبه بشكل جذري. صحيفة الغارديان 2 آذار (مارس) 2005. وأيضا مقابلة كرايسز جروب مع مسؤول أمريكي 4 آذار (مارس) 2005.

[54] عندما خلف بشار والده في الرئاسة حث مسؤولون أردنيون والملك شخصيا الإدارة الأمريكية على إعطائه فرصة لأنه كان يتحدث كواحد من أبناء "الجيل الجديد من القادة العرب الذين يؤمنون بالتحديث" مقابلة كرايسز جروب مع مسؤول أمريكي سابق، واشنطن شباط (فبراير) 2005.

[55] مقابلة كرايسز جروب مع مسؤول أردني كبير في عمان كانون أول (ديسمبر) 2004: وكالة أسوشيدت برس 27 نيسان (أبريل) 2005.

[56] أكد الملك عبد ا : "يعبر مقاتلون أجانب تدربوا في سوريا الحدود السورية" وكالة الصحافة الفرنسية 8 كانون أول (ديسمبر) 2004

[57] ادعى الرئيس العراقي الياور أن سوريا كانت "تقدم الملاذ الآمن والمأوى (للمتمردين) وأنهم ينطلقون من هناك". وفي حين أنه لم يتهم الرئيس بشار مباشرة فانه قد وجه إصبع الاتهام إلى "مؤسسات داخل الحكومة السورية... وخاصة الحرس القديم" وكالة الصحافة الفرنسية 16 كانون أول (ديسمبر) 2004. وكرر رئس الحكومة الانتقالية العلاوي هذه التهم وقال أن جزءا من قيادة "الجماعات الإرهابية" عاشوا في سوريا. وكالة الصحافة الفرنسية 28 كانون أول (ديسمبر) 2004.

[58] مقابلات كرايسز جروب مع مسؤولين أمريكيين وإسرائيليين وفلسطينيين في واشنطن وتل أبيب ورام ا ، كانون ثاني (يناير) – آذار (مارس) 2005.

لإعادة جدولة الديون السورية المطلوبة لجمهورية التشيك وسلوفاكيا ورومانيا[59]، وتوجت بزيارته في كانون ثاني (يناير) 2005 إلى موسكو. واعتبرت هذه الزيارات نجاحات هامة وخاصة إلغاء الديون الروسية[60]، وتحسنت العلاقات مع السلطة الفلسطينية بعد وفاة عرفات عندما قام عباس بزيارة رسمية إلى دمشق. وكذلك ولتخفيف حدة التوتر مع الأردن تم التوصل إلى اتفاقية لترسيم الحدود بينهما[61].

وفي مجمل الأحوال تدهور الوضع إلى درجة أنه ومع اغتيال الحريري، وجد حزب البعث نفسه في اصعب وضع إقليمي ودولي منذ تأسيسه. ومما لا شك فيه، كانت هناك عوامل مساعدة على ذلك مثل قرار واشنطن بعدم التحاور مع دمشق. ولكن اللوم يقع أيضا على خطوات سوريا المتعثرة وعدم قدرتها على إعداد رد متجانس على الضغوط الخارجية.

2. الاختبار اللبناني القاسي

أ- كل العيون (الأنظار) على لبنان

لم يكن لبنان هو المكان المتوقع للمواجهة بين سوريا والمجتمع الدولي. وقد نظر معظم العالم إلى الوجود السوري الذي مضى عليه ثلاثون عاما تقريبا بدون اكتراث وحتى بالرضى أحيانا، وكان العالم العربي قد قبل به منذ مدة طويلة واعتبره الغرب عموما كعنصر استقرار هام حافظ على انضباط الجماعات الطائفية المتفككة والميليشيات المنظمة. وأعرب بعض كبار المسؤولين الإسرائيليين عن قلقهم من نتائج انسحاب سوريا. وحتى فترة قريبة جدا لم تكن الولايات المتحدة متحمسة بشكل كبير لذاك الانسحاب، وهي التي تكبدت خسائر فادحة أثناء غزوها للبنان عامي 1982-1984 وغضت الطرف عن الوجود السوري.

وبالمقابل اعتبر النظام البعثي أن نفوذ سوريا في لبنان ولمدة طويلة مصلحة مركزية تأتي بعد ديمومة النظام. حصلت سوريا على منافع استراتيجية (وبشكل رئيسي من خلال ضغط حزب ا ووظيفته الردعية في وجه إسرائيل) وفوائد مالية (من خلال الشبكات الواسعة لرجال الأعمال السوريين واللبنانيين)[62]، ومنافع اجتماعية (من خلال مئات الآلاف من العمال السوريين في لبنان)[63]، وكانت اليد

---

[59] بلغت ديون دمشق لجمهورية التشيك وسلوفاكيا 155 مليون دولار وتم الاتفاق على أن تسدد سوريا فقط 15% من هذا المبلغ ومن المتوقع التوصل إلى اتفاق مماثل مع رومانيا.راجع أخبار الشرق 25 تشرين ثاني (نوفمبر) 2004.

[60] بلغت الديون الروسية على سوريا 13.4 بليون دولار ووافقت روسيا على شطب 9.8 بليون دولار. راجع صحيفة موسكو تايمز 26 كانون ثاني (يناير) 2005 "لقد أدت الصفقة إلى مضاعفة ثقة النظام بنفسه لأنه اعتقد خاطئا أن ذلك سيخفف من مخاطر العداء الأمريكي له" حسب مقابلة كرايسز جروب مع مستشار للحكومة السورية في دمشق 3 شباط (فبراير) 2005.

[61] أعلن الاتفاق في كانون أول (ديسمبر) 2004 وتم التوقيع عليه في شباط (فبراير) 2005 ويسمح لسوريا بالاحتفاظ بـ125 كم مربع من الأراضي الأردنية مقابل إعطاء الأردن أرض مماثلة على الجانب السوري من الحدود، وشمل الاتفاق التعاون في الإجراءات ضد التهريب والجريمة المنظمة. راجع صحيفة النهار 28 شباط (فبراير) 2005.

[62] في أوج فترة إعادة بناء لبنان التي استمرت حتى أواسط التسعينيات وجد حوالي مليون عامل سوري وظائف دائمة لهم في لبنان. وتشير الأرقام الحالية إلى عدد أقل من ذلك الآن. مقابلة كرايسز جروب مع أنطوان حداد مستشار البرلماني نسيب لحود في بيروت 8 كانون أول (ديسمبر) 2004. ولقد نشط رجال الأعمال السوريون في مجال استيراد وتوزيع البترول في لبنان واستخراج الحجارة وبناء الطرق وقطاع الاتصالات والبنوك. إضافة إلى وجود 7 بلايين دولار سورية في البنوك اللبنانية ساعدت رجال الأعمال السوريين على الحصول على فوائد كبيرة من فروقات العملة اللبنانية. راجع رينود ليندرز "تحكم من خلال الفرقة: سياسات بناء المؤسسات والفساد في لبنان ما بعد الحرب" ستنشرها كامبردج.

[63] طلبت وزارة العمل اللبنانية إجراء دراسة عن العمال السوريين في لبنان. وقدرت عددهم ما بين 300 ألف إلى 500 ألف. على أية حال فان توزيع هؤلاء العمال على القطاعات المختلفة (التي توحي بأن 7% منهم يعملون في القطاع الصناعي الذي يشمل البناء) يتناقض مع الاعتقاد السائد حول العدد الكبير للعمال السوريين في لبنان. ومن الممكن أن الدراسة تميل للتقليل من عدد العمال السوريين. راجع صحيفة الثورة 28 آذار (مارس)

الطولى في الشؤون اللبنانية بمثابة ضمان ضد عدم الاستقرار الداخلي: فكل الانقلابات العسكرية في سوريا الحديثة كانت تحاك وتنظم من أراضي جارتها. وإضافة إلى عدد الجنود السوريين في لبنان الذي بلغ في يوم ما 30.000 ثم انخفض إلى 14.000 في أيلول (سبتمبر) 2004 وحاليا يبلغ 8000 جندي[64]، هناك مجموعة عوامل ضمنت استمرار الهيمنة السورية بما في ذلك وجود المخابرات السورية وعلاقاتها المتشعبة والمتداخلة مع المخابرات وقوى الأمن اللبنانية، والتدخل في النظام القضائي ووجود اقتصاد موازي أفاد كلا من السوريين وزبائنهم اللبنانيين. وفي رأي عضو بارز في المعارضة اللبنانية: "السلطة الحقيقية في لبنان أصبحت المخابرات السورية التي ألغت أي سياسة لبنانية حقيقية"[65].

وعلى ضوء تراجع أهمية لبنان بالنسبة للمجتمع الدولي وأهميته التي تفوق حجمه بالنسبة للنظام السوري توقع مراقبون (لسوء طالع المعارضة اللبنانية) بأن الولايات المتحدة ستستعمل هذه الورقة فقط للحصول على تنازلات حول مسائل حظيت باهتمام أكبر من الولايات المتحدة، وهي مسائل ستتجاوب سوريا معها في النهاية. وتم اعتبار موقف سوريا من عملية السلام والعراق هما السببان الأرجح لسوء التفاهم مع واشنطن. وكما علق محلل لبناني بطريقة تهكمية: "لقد حكّت الولايات المتحدة في كل أجزاء الجسم السوري لدفع سوريا على التحرك وعندما لمست لبنان صرخ النظام السوري أخيرا، وهنا قررت الولايات المتحدة أن تستمر في الحك"[66].

لقد تغير كل هذا بشكل دراماتيكي ملفت. ولبنان وهو أبعد ما يكون عن مشهد جانبي أو ثانوي، قد أصبح علامة ومؤشرا لكل ما يعتبر خطأ في النظام السوري: الهيمنة على لبنان من قبل زمرة صغيرة تنتمي لعائلة واحدة: الدور الطاغي الذي تقوم به أجهزتها الاستخبارية: عدم اكتراثها بالمجتمع الدولي: وانغلاقها في وجه التغير. وفي حين كانت واشنطن تعتبر النداءات للانتباه للوجود السوري في لبنان وسيلة لتحقيق نتائج غير مترابطة الواحدة بالأخرى فقد اصبح الانسحاب هدفا مركزيا بذاته بالنسبة لها وهو ضروري لتغيير الوضع في لبنان ولكن أيضاً في سوريا ومع مرور الوقت في المنطقة ككل[67].

يمكن تفسير كل ما سبق على ضوء حسابات وخطوات سوريا الخاطئة وخاصة في عدم اكتراثها بتحذيرات الأوروبيين والمبعوثين العرب المتكررة بعدم التجديد للرئيس إميل لحود فترة إضافية مما يتناقض مع دستور البلاد وعدم تهميش الحريري[68]. وسعى الرئيس شيراك إلى تشكيل موقف موحد مع الولايات المتحدة بعد أن خاب ظن فرنسا وخاصة قصر الاليزيه[69]، بالرئيس بشار وزاد قلق الدولتين على لبنان. وفي قمة الثمانية الكبار في حزيران (يناير) 2004. مثلا حاول شيراك إقناع الرئيس بوش بأهمية لبنان قائلا أن لبنان هو أحد الديمقراطيات القليلة في المنطقة، وهي حالة تقيس مدى

2005. وبين عامي 1993– 2005 بلغت مجمل التحويلات إلى سوريا 7 بلايين دولار. راجع كمال ديب في النهار 8 آذار (مارس) 2005.

(64) راجع النهار 1 نيسان (أبريل) 2005.

(65) مقابلة كرايسز جروب في باريس، آذار (مارس) 2005

(66) مقابلة كرايسز جروب في باريس، آذار (مارس) 2005

(67) منذ تبني قرار مجلس الأمن رقم 1559 بلغ الاهتمام الدولي بلبنان مستويات عالية، والجدير بالملاحظة أن الأمم المتحدة لها أقل من أربعة مندوبين أو مبعوثين وكلهم مكلفون بطريقة أو بأخرى بمتابعة الشؤون اللبنانية: مبعوث للجنوب اللبناني (جير بيدرسن) وواحد لضمان تنفيذ القرار 1559 (تيري رودلارسن) ومبعوث لعملية السلام في الشرق الأوسط (شاغر حاليا) وواحد للتحقيق في عملية اغتيال الحريري (بيتر فيتزجيرالد) إضافة إلى القوات المتعددة الجنسيات التي تشكلت عام 1974 للإشراف على وقف إطلاق النار بين إسرائيل وسوريا في الجولان وقوات الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان التي تشكلت عام 1978 لتؤكد الانسحاب الإسرائيلي ومساعدة الحكومة اللبنانية على بسط سلطتها في جنوب لبنان).في 7 نيسان (أبريل) 2005 أقر مجلس الأمن بالإجماع القرار 1595 الداعي إلى تشكيل لجنة دولية للتحقيق في اغتيال الحريري.

(68) مقابلات كرايسز جروب مع مسؤولين عرب ومن الاتحاد الأوروبي/ باريس/ مدريد/ واشنطن، شباط (فبراير)– آذار(مارس) 2005. ونجحت فرنسا في جهودها لإعادة التزامات ديون لبنان وعرضت تعهدات جديدة للمساعدة عام 2002 بشرط التزام لبنان باتخاذ إجراءات للإصلاح الاقتصادي. ومنذ اتفاق باريس(2) في تشرين ثاني (نوفمبر) 2002 واجهت جهود الحريري مقاومة قوية من الرئيس لحود مما أحرج الرئيس الفرنسي. مقابلات كرايسز جروب مع دبلوماسيين أوروبيين في دمشق 27 تشرين أول (أكتوبر) 2004. حول خطوات لبنان المؤجلة في الإصلاحات راجع يوسف اصطفان (تأثير مؤتمر باريس 2 في لبنان) – شمالي وشمالي، لبنان 2004.

(69) أوضح العديد من المسؤولين الفرنسيين أنه منذ البداية كانت هذه السياسة بقيادة شيراك بعد أن سألهم أعضاء السلك الدبلوماسي. ويشيرون بشكل خاص إلى العلاقات الوثيقة جداً وحتى الصداقة مع الحريري كعنصر فاعل رئيسي. مقابلة كرايسز جروب باريس تموز (يوليو) 2004 و آذار (مارس) 2005.

طموحات واشنطن لشرق أوسط أكبر وفرصة جيدة للرئيسين لأن يعملا معا بعد التوتر الذي نتج عن الحرب في العراق[70].

ووجد التعاون الذي طرأ عليه التحسن بين باريس وواشنطن أفضل تعبير عنه في إصدار قرار مجلس الأمن رقم 1559 في 2 أيلول (سبتمبر) 2004 والذي طالب " جميع القوات الأجنبية المتبقية للانسحاب من لبنان" وهي إشارة واضحة إلى سوريا، وأيد القرار إجراء انتخابات رئاسية في لبنان" حسب قواعد الدستور اللبناني تتم بدون تدخل أو تأثير أجنبي، وكان هذا أيضا بمثابة تحذير واضح ضد محاولات سوريا للتمديد لرئاسة لحود. ودعا القرار على عكس ما تفضله فرنسا ولكن كشرط ضروري لموافقة واشنطن على "تسريح جميع المليشيات اللبنانية وغير اللبنانية" وهي الإشارة الواضحة إلى حزب ا الحركة التي سعت باريس إلى عدم إقصائها والذي يعترف الجميع بدورها الهام على الساحة اللبنانية[71].

كان التوتر بين باريس ودمشق ذو أهمية بالغة إذ كلف سوريا فقدانها لأحد أهم شركائها، فقد كانت باريس جسرا إلى الغرب وعازلا ضد الولايات المتحدة. إضافة إلى إصدار قرار مجلس الأمن المناوئ لسوريا بمشاركة عربية مما سلّط الضوء على عزلة سوريا التي لم يسبق لها مثيل. وكما قال مسؤول أمريكي ل كرايسز جروب: "قرار 1559 مهم لأنه لم يعد بإمكان سوريا بعد الآن مجادلة الشرعية الدولية، أي أن النظام يجب أن يكون حذرا الآن فلم يعد هناك مكان للاختباء"[72].

وبالرغم من القرار 1559 مضى النظام السوري في تنفيذ خططه واستدعى الحريري على عجل لإخباره بقرار التمديد للرئيس لحود وطلب دعمه لذلك[73]. وسارع البرلمان اللبناني الذي تم انتخاب معظم أعضائه بفضل التدخل السوري إلى تبني القرار السوري - وذلك بعد يوم واحد من إصدار قرار الأمم المتحدة، مما خلق خلافا مؤكدا مع فرنسا وزاد من ابتعاد أطراف دولية أخرى.

وكان لاغتيال الحريري في 14 شباط (فبراير) 2004 أهمية أكبر من كل هذا بكثير. وعلى الرغم من أن مرتكبي الجريمة ما يزالون غير معروفين إلا أن هناك شكوكا واسعة الانتشار بأن هجوما بهذا الحجم لم يكن ممكنا بدون العلم المسبق للمخابرات السورية وموافقتها بحدهما الأدنى. وعلى أية حال، وبكلمات مسؤول عربي:" من ناحية سياسية هذا لا يهم كثيرا. فعلى ضوء دورها في لبنان، وعلى ضوء قرارها بتجاهل الضغط الدولي بعدم التمديد لرئاسة لحود، وعلى ضوء عدائها المتزايد للحريري فقد وضعت سوريا نفسها في موقف المسؤول عما حدث سواء كانت مذنبة أو غير مذنبة؛ وسواء فعلت ذلك أم لم تفعله فإنها ستدفع الثمن"[74]. أما تقرير آذار (مارس) 2005 الصادر عن بعثة تقصي الحقائق التابعة للأمم المتحدة فقد أوجزت الموضوع على النحو التالي: "لا يمكن تأكيد (الأسباب) المحددة لاغتيال الحريري إلا بعد مثول مرتكبي الجريمة أمام العدالة. ولكن من الواضح أن الاغتيال تم في إطار سياسي وأمني يتميز باستقطاب صارم حول النفوذ السوري في لبنان وفشل الدولة اللبنانية بتوفير الحماية الكافية لمواطنيها"[75].

وحتى الحلفاء التقليديين مثل مصر والسعودية (والتي ربطت الحريري بهما علاقات وثيقة) لم يقفوا إلى جانب سوريا التي فوجئت بما سمعته منهما و بلغة حازمة وبدون مواربة، أن عليها تنفيذ القرار 1559 فورا أو أنها ستتحمل النتائج. وقال مسؤول أمريكي ل

---

[70] "قال له: لدينا هنا نظام ديمقراطي مهدد من قبل السياسة السورية. دعنا نعمل معا لضمان عدم انزلاق لبنان إلى الخلف" مقابلة كرايسز جروب مع مسؤول فرنسي باريس تموز (يوليو) 2004.

[71] قرار 1559 لعام 2004. أصر مسؤولون فرنسيون والمعارضة اللبنانية على ضرورة أن يركز القرار على سيادة لبنان وترك موضوع حزب ا جانبا ولكن واشنطن لم توافق. مقابلات كرايسز جروب، باريس آذار (مارس) 2005.

[72] مقابلة كرايسز جروب، واشنطن، أيلول (سبتمبر) 2004

[73] أثناء زيارة له لدمشق في 26 آب 2004 قال بشار للحريري: "لحود هو أنا، وإذا كنت أنت وشيراك تريدانني أن أخرج من لبنان فسأدمر لبنان" نيويورك تايمز 20 آذار (مارس) 2005. نقلت بعثة تقصي الحقائق التابعة للأمم المتحدة في اغتيال الحريري شهادة من أحد اللبنانيين الذي قال أن بشار هدد الحريري "بالأذى الجسدي" إذا عارض التمديد. لمقتطفات من التقرير راجع صحيفة الديلي ستار 26 آذار (مارس) 2005.

[74] مقابلة كرايسز جروب، واشنطن 15 شباط (فبراير) 2005. وردد مسؤول كبير من إحدى دول الاتحاد الأوروبي والذي تربطه علاقات جيدة مع بشار وجهة النظر هذه بقوله: "من ناحية سياسية ليس من المهم فيما إذا قام بشار بذلك، ولكنه بتجاهله لنصيحتنا خلال العامين الماضيين فقد حمل نفسه المسؤولية". مقابلة كرايسز جروب 9 آذار (مارس)2005.

[75] تقرير لجنة تقصي الحقائق إلى لبنان للبحث عن الأسباب والظروف والنتائج لاغتيال رئيس الوزراء السابق رفيق الحريري 25 شباط (فبراير) إلى 24 آذار (مارس) 2005".

كرايسز جروب: "لمعظم الوقت عرف عن النظام أنه مغرور ومتعجرف وواثق من نفسه. الآن يجد نفسه في حالة صدمة"[76].

نما الضغط الدولي على سوريا وبشكل خاص للانسحاب من لبنان نموا له دلالاته، فإضافة إلى الولايات المتحدة وفرنسا وروسيا وأقطار أوروبية أخرى ضمت مصر والسعودية نداءاتهما[77]. ويثير التحالف بين فرنسا والولايات المتحدة اهتماما خاصا خاصة بعد فترة طويلة من الجمود وعدم الثقة؛ فالرئيسان شيراك وبوش، إضافة لمسؤولين آخرين كبار من الجانبين، هما على اتصال مستمر[78]. ويبدو أن العلاقة قد نجحت لأن كل طرف يطري على جهوده في التأثير على الآخر. ومع بدء تكشف ما حدث في لبنان والمظاهرات الحاشدة المناوئة لسوريا أعلنت المبادرة السورية لإعادة الانتشار على مراحل بدون جدول زمني محدد للانسحاب ثم كانت المظاهرة الضخمة لحزب ا . ولكن واشنطن وباريس بقيتا على موقفهما، فمن ناحية خففت الولايات المتحدة من لهجتها المناوئة لحزب ا وحثت إسرائيل على الالتزام بالهدوء وتمسكت فرنسا بموقفها الحازم من سوريا[79].

ومعا حددا موقفا عاما واتفقا على تفاصيله وهي:

- تحقيق دولي في اغتيال الحريري
- انسحاب القوات والمخابرات السورية الكامل وغير المشروط من لبنان قبل إجراء الانتخابات البرلمانية المقررة قبل 31 أيار (مايو) 2005
- انتخابات حرة ونزيهة بوجود مراقبين دوليين
- التصميم على اتخاذ إجراءات تأديبية أخرى إذا لم يتم تنفيذ البنود المذكورة أعلاه
- التركيز على القسم الأول من القرار 1559 والتخفيف من المطالبة على الأقل في الوقت الحاضر بنزع سلاح حزب ا . وبعبارات متطابقة أخبر مسؤولون أمريكيون وفرنسيون كرايسز جروب بأن الأولوية الآن هي إخراج سوريا من لبنان والمحافظة على استقرار لبنان في هذه الأثناء،أي عدم إعطاء حزب ا المبرر أو الفرصة لتعطيل هذا التوجه. وبعبارات مسؤول أمريكي:

"نحن نميز بعناية بين نشاط حزب ا الدولي وبين نشاطه الوطني، ولن نتراجع عن النشاط الدولي وسنبقى متشددين كما كنا دائما وسنظل نحث الاتحاد الأوروبي على إضافة حزب ا إلى قائمة الإرهاب.ولكن من الخطأ أن نصر على نزع سلاح حزب ا الآن وليس من الواقعي في شيء توقع قيام الجيش اللبناني باستخدام القوة لتحقيق ذلك. وهذا الموضوع يجب أن يحله اللبنانيون فيما بينهم في الوقت المناسب"[80].

وتلقي تصريحات وزيرة الخارجية الأمريكية رايس الموزونة بدقة المزيد من الضوء:

"رأي الولايات المتحدة في حزب ا لم يتغير، فما نركز عليه حاليا هو إخراج القوات والمخابرات السورية من لبنان وعندما يتم ذلك ستتاح أمام اللبنانيين فرصة لصياغة مستقبلهم السياسي وسنقوم بإنجاز شيء واحد في وقت واحد، وعندما تتاح هذه الفرصة للشعب اللبناني فأنا واثقة من أنهم سيتوصلون إلى تفاهم على الوسائل التي ستضمن حياة أفضل وأكثر حرية للشعب اللبناني"[81].

وهذا تطور جدير بالاهتمام لإدارة كانت قبل أسابيع فقط قد جعلت موقف الاتحاد الأوروبي من حزب ا أولوية لها

---

(76) مقابلة كرايسز جروب واشنطن 4 آذار (مارس) 2005.

(77) مشيرا للقرار 1559 واتفاق الطائف وكلاهما يدعو للانسحاب السوري قال وزير الخارجية المصري أحمد أبو الغيط أن على سوريا أن تتصرف، راجع الأهرام الأسبوعي 3-9 آذار (مارس) 2005. وأخبر مسؤولون سعوديون بشار بأن الرياض تصر على الانسحاب الكامل للجنود والمخابرات السورية من لبنان في وقت "قريب" راجع اسوشيدت برس 3 آذار (مارس) 2005.

(78) "بالنسبة لشيراك هذا شأن شخصي وعاطفي. لأن الحريري كان صديقا مقربا له ولم يكن لشيراك أصدقاء كثيرون مثله واغتيال الحريري كان تجاوزا للخط الأحمر بالنسبة لشيراك ولن يترك هذا الموضوع بدون متابعة.مقابلة كرايسز جروب باريس آذار (مارس) 2005.

(79) مقابلات كرايسز جروب باريس وواشنطن شباط (فبراير)–آذار(مارس) 2005.

(80) مقابلة كرايسز جروب في واشنطن آذار (مارس) 2005.

(81) حديث موجز في الطريق إلى المكسيك 10 آذار (مارس) 2005

والتي وصفت منظمة حزب ا في يوم ما "بالفريق رقم 1" للإرهاب(82).

- عداء مشترك للنظام السوري وتصميم على عدم تهدئته أو تطمينه بضمانات أو خطوات متبادلة. وعلى الرغم من أن باريس حثت واشنطن على الامتناع عن التحدث عن تغيير النظام خوفا من استعداء الدول العربية أو دفع بشار إلى الحافة فان شيراك وأقرب مستشاريه يبدون بأنهم قد توصلوا إلى استنتاج مفاده أن النظام الحالي أثبت أنه غير قابل للإصلاح وعليه أن ينتهي:

"انه نظام فاسد على طراز المافيا وينطوي على مفارقة تاريخية وغير قادر على إصلاح ذاته. وهو النظام الوحيد من بين دول المنطقة الذي لم يتخذ خطوة واحدة لتحديث نظامه السياسي. وأصبح وجوده في لبنان مصدرا للشرعية وللدخل له. وعندما يختفي من هناك فانه سيفقد سبب بقائه وسيفقد موارده. في تلك اللحظة لا تعتمدوا علينا لرمي حبل النجاة له ولن نذرف دمعة واحدة عندما يسقط(83).

ويبدو أن باريس بالذات قد يئست من فكرة إحياء العملية السلمية بين إسرائيل وسوريا كوسيلة لحمل دمشق وتقديم الحافز لها للتخفيف من حدة تصرفاتها: "لماذا؟ الأمريكيون والإسرائيليون غير مهتمين بالموضوع والنظام سيستخدم العملية فقط لإطالة بقائه"(84).

لقد أثمرت جهود الجبهة الموحدة. على وجه الخصوص، وبعد شيء من التردد، التزمت سوريا بالانسحاب الكامل قبل نهاية نيسان (أبريل) 2005.

وهذا لا يعني أن كل الخلافات داخل المجتمع الدولي قد اختفت؛ والواقع أنه ومع مرور الوقت وخاصة بعد أن تنسحب سوريا من لبنان فمن المحتمل أن تعود هذه الخلافات لتطفو على السطح.

وتبقى فرنسا غيورة على نفوذها في (الهلال) الشرق الأوسط وستعارض أية محاولة أمريكية للهيمنة؛ وبالمقابل تبقى الولايات المتحدة ومعها إسرائيل مصممة على حل موضوع حزب ا ، ومن شبه المؤكد أنها ستعود إلى مسألة إضافة حزب ا إلى قائمة الاتحاد الأوروبي للإرهاب التي تعارضها فرنسا(85).

حتى المواقف من النظام السوري من الممكن أن تتباعد بعد الانسحاب. وبعد أن تهدأ الخواطر قد تشعر باريس برغبة لإعادة فتح الحوار، وهناك تقارير تتحدث عن محاولات سورية لم تنجح حتى الآن لإعادة الاتصال(86). والإجماع الدولي أيضا قد لا يستمر بعد انسحاب سلمي للقوات السورية، فالدول العربية في مؤتمر القمة في الجزائر في آذار (مارس) 2005 اعتمدت لهجة معتدلة. وبعد الانسحاب، من المحتمل أن ترفض هذه الدول أي تلميح على تغيير النظام أو أي إجراء ضد حزب ا وسيتحدثون عن المواقف المتناقضة إزاء سوريا التي أجبرت على مغادرة لبنان، بينما ما تزال إسرائيل تحتل الأراضي العربية. وبعبارة أخرى وحالما يعود الاهتمام ينصب على الأبعاد الخارجة عن النطاق اللبناني فان الإجماع الدولي سيتعرض للخطر.

ب- المعارضة اللبنانية

يفتخر لبنان بتنوع وتناقض مكونات مشهده السياسي لوجود انقسامات تعكس الولاءات القبلية والعائلية والدينية وكذلك الاجتماعية. وخلال السنوات التي بدأ فيها التواجد العسكري لسوريا لعبت سوريا دورا واستفادت من ذلك الوضع ولكن الغنائم سبقت تدخلها، بل الحقيقة أن تلك المكاسب سهلت التدخل وعلى الأرجح أنها ستدوم بعده. إن التاريخ الحديث لعلاقات سوريا المتأرجحة مع الجماعات اللبنانية المختلفة هو خير مؤشر لأن تلك الجماعات كانت واحدة تلو الأخرى تطلب من سوريا المساعدة أو أنها أدانتها لتدخلها، كلما تحول حلفاء الأمس إلى أعداء اليوم وتحول المعارضون إلى مؤيدين. في عام

(82) نقل هذا الكلام عن ريتشارد آرميتاج الذي كان يشغل منصب نائب وزير الخارجية الأمريكي في وكالة رويترز، 9 أيلول (سبتمبر) 2002.

(83) مقابلة كرايسز جروب مع مسؤول فرنسي، باريس آذار (مارس) 2005.

(84) بينما تنتشر مشاعر العداء للنظام السوري في كل الإدارة الفرنسية فليس كل المسؤولين يوافقون على هذا الأسلوب. وبعضهم أخبر كرايسز جروب بأنه بعد الانسحاب من لبنان فلا بد من بدء شكل من الحوار بما في ذلك الحديث عن العملية السلمية. مقابلات كرايسز جروب، باريس آذار (مارس) 2005.

(85) "تبعث الولايات المتحدة إشارات مطمئنة وغامضة حول حزب ا ونحن نعتقد أن هذا الحزب مهم ليبقى على الساحة: ويعتقد الأمريكيون أن من الضروري مهاجمتهم بعد الانسحاب, عندئذ ستعود مشاكلنا الثنائية للظهور". مقابلة كرايسز جروب مع مسؤول فرنسي في باريس آذار (مارس) 2005. وكجزء من هذا الموقف المتناقض إزاء حزب ا كان المسؤولون الفرنسيون أقل ثقة حول دور الحزب على المسرح الإسرائيلي-الفلسطيني وأشاروا إلى اعتقادهم بأن تأكيدات الولايات المتحدة وإسرائيل حول هذا الموضوع كانت "مبالغ فيها".

(86) مقابلة مع كرايسز جروب، باريس آذار (مارس) 2005.

1976 طلب الرئيس الماروني الياس سركيس من سوريا التدخل ضد منظمة التحرير الفلسطينية والتحالف اليساري اللبناني[87]، ثم بعد أقل من سنة غيرت دمشق تحالفاتها. خلال عقد التسعينيات ظل قادة المجموعات اللبنانية يزورون دمشق لزيادة ثرواتهم وحصتهم في السلطة ضمن النظام السياسي المعقد في البلاد[88].

وفي مجال أوسع، استمرت التحالفات الدينية بتحديد السياسات اللبنانية وفي معظم الأحيان ترهق عملية اتخاذ القرار السياسي اليومي. وتضمن اتفاق الطائف الذي أنهى الحرب الأهلية مبدأ توزيع السلطة على أساس طائفي عن طريق توزيع المناصب العليا (مثل الرئيس ورئيس الوزراء ورئيس البرلمان) والقاعدة البرلمانية والوظائف الوزارية والمراكز العليا في الدولة حسب الخطوط الطائفية بالرغم من الدعوة إلى "إلغاء التحالفات الدينية".

ليست كل التحالفات الدينية هي مؤشرات موثوقة للترابطات السياسية. اليوم مثلا هناك بعض أقوى حلفاء سوريا من الشخصيات المارونية البارزة مثل سليمان فرنجية من بلدة زغرتا في الشمال. لقد ظلت التحالفات اللبنانية هشة ومتقلبة وتعتمد على حسابات شخصية وطائفية ونادرا ما تتجاوز هذه التحالفات.

في هذا الإطار برزت المعارضة التي خرجت إلى حيز الوجود بعد قرار سوريا بالتمديد للرئيس لحود وتعيين حكومة برئاسة عمر كرامي. بينما ظلت الجبهة المناوئة لسوريا عموما حتى ذلك الوقت مقتصرة على الأقلية المارونية إلى جانب حفنة من السياسيين والمفكرين[89]، هذه المرة تقريبا وحدت كل الأطراف الرئيسية باستثناء ملحوظ لممثلي الشيعة صفوفها. وجاء رد سوريا قويا[90]،

[87] كان التحالف يسمى بالحركة الوطنية وضم كمال جنبلاط رئيس الحزب الاشتراكي التقدمي.

[88] انظر: Reinoud Leenders, *Divided We Rule*، مصدر سابق.

[89] تعتبر فترة عام 2000 عندما وحد زعماء مارونيين وزعيم الدروز وليد جنبلاط موقفهم وطالبوا بجدول زمني لانسحاب سوريا حالة استثنائية. راجع صحيفة النهار 7 تشرين ثاني (نوفمبر) 2000.

[90] في 1 تشرين أول (أكتوبر) 2004 انفجرت قنبلة في سيارة حليف مقرب لجنبلاط وهو الوزير الدرزي السابق مروان حماده وأصيب هو بجراح بينما قتل حارسه. وفشل تحقيق أثار جدلا وانتقادات كثيرة أجرته الحكومة في التوصل إلى نتيجة. واتهم حماده المخابرات اللبنانية "بخطف ومصادرة النتيجة الأولية للتحقيق". راجع صحيفة السفير 27 تشرين ثاني (نوفمبر) 2004. ولم يتردد أصدقاؤه وحلفاؤه بتحميل دمشق المسؤولية مباشرة. مقابلة كرايسز جروب آذار (مارس) 2005

وشجعت محاولاتها لتدعيم سيطرتها السياسية المباشرة وتبني قرار مجلس الأمن رقم 1559 تحالف المعارضة بالرغم من أن كثيرين خشوا أن تلجأ سوريا للعنف والتخويف.

تضم المعارضة مجموعة منتقاة من أصحاب الوزن السياسي الثقيل وهي تحالف ملفت نظرا لتنوع أطيافه ولأنه يعاني من ضعف مزمن نظرا لوجود الاختلافات. وقاد هذه الحملة الزعيم الدرزي (وليد جنبلاط) حليف سوريا السابق وانتقد بشدة فكرة التمديد وسحب وزراءه من الحكومة. ويمثل جنبلاط وهو الذي ورث عن والده القيادة التقليدية (الزعامة) لغالبية الجالية الدرزية التي تشكل 6% من مجموع السكان[91]. وبعد أن شكل حزبه الاشتراكي التقدمي ميليشيا قوية وإدارة مدنية موازية للحكومة أثناء سنوات الحرب، ظل الحزب الحارس الأمين على مصادر التمويل العامة وتوظيف الدروز والمسيحيين من منطقة الشوف وجبل لبنان في أجهزة الدولة بشكل رئيسي من خلال سيطرته على وزارة "المهجرين من بيوتهم". وكزعيم لإحدى الأقليات شعر جنبلاط بالحاجة إلى تغيير موقفه السياسي وتحالفاته مما جعله هدفا لاتهامات متكررة بالانتهازية: وفي رأي بعض اللبنانيين حاول كل جهده للحصول على حصة أكبر من السلطة مما تستحقه جاليته. وعلى الرغم من أن سياسة جنبلاط المتقلبة قد تحولت إلى تغيير في مواقفه من سياسات المنطقة إلا أنه ظل في معظم الأحيان وحتى فترة قريبة منتقدا لسياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط وبتدخلات إسرائيل في الشؤون اللبنانية. وعاد عليه هذا بشكل عام بعلاقات جيدة مع حزب ا الذي تطلب وجوده العسكري في جنوب لبنان تعاطف أو على الأقل عدم معاداة القرى الدرزية هناك.

أما جماعات المعارضة المارونية فتضم القوات اللبنانية المحظورة التابعة لسمير جعجع (المسجون حاليا) وأعضاء الكتائب السابقين المحيطين بأمين الجميل[92]، وجماعة الجنرال المنفي ميشيل عون

[91] حسب سجل السكان اللبناني يشكل الدروز 5.4% من مجمل اللبنانيين، وزارة الداخلية اللبنانية نيسان (أبريل) 2004. وهذه الأرقام هي في أحسن الأحوال تقديرات تقريبية للحقائق السكانية الحالية لأنها تعود إلى عام 2000 وأهم من ذلك لأن آخر إحصاء تم عام 1932-1934. ويشكل الدروز نسبة 5.6% من المسجلين للانتخاب.

[92] انقسمت الكتائب إلى قسمين بعد هزيمتها في انتخابات عام 2000 وعودة رئيسها السابق أمين الجميل من المنفى في نفس العام.وتجمع القسم الأول حول

(الاتجاه الوطني الحر). وتبنى هؤلاء بشكل رئيسي موقفا أكثر إيجابية من الولايات المتحدة وأقل عدائية من إسرائيل ومعارضة للوجود السوري في البداية. وفي فترة التسعينيات تم تهميش هذه الجماعات كنتيجة أولا للتقسيمات الانتخابية التي تتم (حسب الظروف) ونتيجة لاعتقال عدد كبير من زعمائها. وبالمقابل جسد أتباع الجنرال عون والقوات اللبنانية خاصة شعورا عاما بالإحباط لدى الأقلية المارونية التي تمثل حوالي 23% من مجمل السكان[93]. وعلى الرغم من انقسام هذه الجماعات داخليا وتميزها بالنزاعات الشخصية فقد انضمت للمارونيين المستقلين والمثقفين المسيحيين والنشطاء السياسيين لتشكيل تجمع (قرنة شهوان) في نيسان (أبريل) 2001[94]. وفشل التجمع الذي تشكل أصلا للحصول على دعم زعماء الأقليات الطائفية الأخرى. وتميزت علاقاتهم بسوريا وبحزب ا بالتوتر (أدلى الجنرال عون بشهادته أمام الكونغرس الأمريكي لصالح العقوبات ضد سوريا) مع أن أعضاء آخرون التقوا مع قيادة حزب ا .

وأخيرا فان التحالفات لبعض الجماعات في المعارضة تتجاوز الخطوط الطائفية ومنها حركة التجديد الديمقراطية (الصغيرة) التي تشكلت في تموز (يوليو) 2002 على يد مجموعة من السياسيين والنشطاء بمن فيهم برلمانيون مثل نسيب لحود (ابن عم ولكن منتقد للرئيس لحود) ومصباح الأحدب وهو أول سني سياسي كبير ينضم للمعارضة. وهذه الحركة القريبة من صيغة الديمقراطيين الاشتراكيين اللبنانيين اتخذت موقفا وسطيا، فقد انتقدت دور سوريا بلغة معتدلة وركزت على مواضيع أقل إثارة للخلاف مثل الحكم الجيد والإصلاح الاقتصادي واحترام اتفاقية الطائف. وأما حركة اليسار الديمقراطي فهي تجمع فضفاض لنشطاء من أقليات مختلفة. وقد تشكلت في تشرين أول (أكتوبر) 2004 لمعارضة "التمديد غير القانوني لحكم الطبقة السياسية" وأشركت معها أعضاء من الحزب الشيوعي اللبناني ونشطاء يساريين آخرين[95]. وتدعو الحركة أيضا إلى علاقات سورية – لبنانية أكثر توازنا قائلة بأنه يجب إزالة الأسباب الحقيقية للضغوط الخارجية على البلدين. وانسجاما مع توجهات جناحها اليساري والقومي العربي فقد ركزت الحركة على دعم الفلسطينيين والمقاومة ضد إسرائيل في جنوب لبنان وكذلك على معارضة سياسة الولايات المتحدة في المنطقة.

في 13 كانون أول (ديسمبر) 2004 أصدرت هذه الجماعات المعارضة أول بيان مشترك لها يدين التمديد للرئيس لحود ودور المخابرات السورية ودعت إلى احترام "حق لبنان في تقرير مصيره". ووقع البيان الذي عرف باسم "إعلان بريستول" ويمثل خليطا متنوعا من الأحزاب والمنظمات والمسيحيين والمسلمين واليساريين واليمينيين، وكثير منهم كانوا على قطيعة بين بعضهم البعض وتصادموا أحيانا باستخدام القوة أثناء حرب الثمانينيات[96]. وفي البداية ومن خلف الكواليس ثم بعد ذلك بوضوح أكبر برز الحريري كموحد لهذه المعارضة نظرا لمكانته المحلية والدولية وكذلك لوزنه الاقتصادي الاستثنائي[97].

السياسي المسيحي الأرمني المخضرم كريم بقرادوني والمتحالف مع سوريا والثاني حول الجميل.

[93] حسب سجل السكان اللبناني يشكل المارونيون 20.5% من مجمل السكان و22.1% من الناخبين المسجلين. وزارة الداخلية اللبنانية نيسان (أبريل) 2005. ألقي القبض على زعيم القوات اللبنانية سمير جعجع في آذار (مارس) 1994 وحكم عليه بالسجن المؤبد لدوره في مقتل داني شمعون وعائلته عام 1990 ولقصف كنيسة في جونيه عام 1994. لمزيد من التفاصيل حول عدم قانونية محاكمة جعجع راجع تقرير منظمة العفو الدولية "لبنان تطورات وخروقات حقوق الإنسان" 9 تشرين أول (أكتوبر) 1997.

[94] سمي التجمع نسبة إلى قرية المتن حيث اجتمع أول مرة بمباركة البطريرك نصر ا صفير. ومن أبرز الأعضاء الآخرين أمين الجميل ودوري شمعون (زعيم الحزب الوطني الليبرالي) وتوفيق هندي (مستشار سمير جعجع زعيم القوات اللبنانية المسجون) وأشخاص يحظون بالاحترام مثل سمير فرنجية (مثقف يساري) والدبلوماسي السابق سيمون كرم.

[95] البيان التأسيسي لحركة اليسار الديمقراطية منقول عن صحيفة النهار 6 تشرين أول (أكتوبر) 2004.

[96] لعبت حركات الشباب والنشطاء دوراً هاما توحيد المعارضة التي ظلت منقسمة قبل ذلك. وحتى 18 تشرين ثاني (نوفمبر) 2004 سار النشطاء المارونيون المتعاطفين مع تيار عون والقوات اللبنانية من جهة والمتظاهرون اليساريون من جهة أخرى في مسيرات منفصلة. "أثناء المظاهرات تلاقى الناس وتبادلوا الرأي" وقررنا أننا يمكن أن نؤثر بشكل أفضل إذا عملنا سوية وبدأنا العمل من أجل ذلك". مقابلة كرايسز جروب مع ناشط طلابي من الحركة اليسارية الديمقراطية في بيروت 1 آذار (مارس) 2005. وفي رأيه فالخطوة الأولى نحو الوحدة بين الحركات الشبابية تمت أثناء انتخابات الطلبة في الجامعة الأمريكية عندما شكل مرشحو المعارضة قائمة واحدة وهزموا الموالين لسوريا. راجع أيضا النهار 26 تشرين ثاني (نوفمبر) 2004.

[97] وعبر الإعلان أيضا عن الرغبة في: "العيش بسلام مع سوريا باحترام متبادل للسيادة والاستقلال". لترجمة إنجليزية راجع www.beirttletter.com ، وحضر الاجتماع الذي كتب أثناءه البيان حبيب صادق من المنبر الديمقراطي (وهو سياسي علماني شيعي من الجنوب) وجنبلاط من الحزب الاشتراكي التقدمي ونسيب لحود من حركة التجديد الديمقراطي والحركة اليسارية

جاء تحول الحريري نحو المعارضة تدريجيا وفرضه في المقام الأول المشروع الانتخابي الذي طال أمد إعداده ولكن تم تقديمه في النهاية للبرلمان في 27 كانون ثاني (يناير) 2005. وقد نص اتفاق الطائف والدستور المعدل عام 1990 على أن (المحافظة) بناء على إعادة تقسيم الحدود الإدارية للبلد ستكون القاعدة العامة والحصرية للمناطق الانتخابية[98]. ولأن هذا التقسيم الإداري لم يتم فقد كان يسبق كل انتخاب قانون انتخابي (منفصل) يقسم البلد إدارياً، مما أدى إلى تطبيق مشين للانتخابات منذ 1992 ومما مكّن سوريا من بناء أو تدمير السياسيين حسب مزاجها[99]. وقسم القانون الذي تقدمت به حكومة عمر كرامي في كانون ثاني (يناير) 2005 البلد على أساس أصغر المناطق الانتخابية وهي (القضاء) باستثناء هام هو بيروت. وتم انتقاء (القضاء) جزئيا لاسترضاء المارونيين، وعلى ضوء إعدادهم فإن أكبر محافظة كفيلة بإجبارهم على عقد تحالفات مع مرشحين عن الأقليات الأخرى، والتي ستشكل قوائم انتخابية من المرجح أن تضم سياسيين تختارهم سوريا. ورحب نشطاء آخرون بفكرة القضاء على أساس أنها تحد من دور المال وتفرض على السياسيين تشكيل مناطق انتخابية محلية مما سيعيق قدرة الغرباء على التدخل[100].

لا يخلو نظام "القضاء" من هفوات كثيرة لأن اختيار المناطق ذات التصويت المتقارب يعتبر عاملا في تجزئة المعارضة ويؤكد الطابع الطائفي ويزيد من فرص انتخاب المسيحيين الموالين لسوريا الذين

الديمقراطية وأيضا أعضاء من تجمع قرنة شهوان. أرسل الحريري مساعده المقرب ووزير الاقتصاد السابق باسل فليحان الذي أصيب لاحقا بجروح خطيرة في انفجار 14 شباط (فبراير) 2005.

[98] توزع المقاعد النيابية أيضا بموجب كوت أو حصة طائفية، نصفها للمسلمين والنصف الآخر للمسيحيين. وقبل اتفاق الطائف كانت حصة المسيحيين أغلبية 5:6.

[99] بينما ينص اتفاق الطائف على أن تكون المحافظة هي القاعدة الوحيدة لاحتساب أصوات المنطقة، فانه يدعو أيضا إلى مراجعة شاملة للتقسيم الإداري للمحافظات. ووفر عدم إتمام المراجعة تلك للحكومات اللبنانية الذريعة لتأخير تبني نظام المحافظة وبدل ذلك اقتراح تقسيمات انتخابية لملئ الفراغ قصيرة الأمد. راجع رينود ليندرز: "منقسمين بموجب القانون". وحول التلاعب الانتخابي في لبنان علم 1992 و1996 راجع طوني عطا ا "تقنيات التزوير الانتخابي وسبل مكافحتها، (بيروت1996) وعن انتخابات 2000 راجع المركز اللبناني لدراسات السياسة، الانتخابات النيابية في لبنان 2000 (بيروت 2002).

[100] مقابلة كرايسز جروب الهاتفية مع ناشط لبناني بيروت نيسان (أبريل) 2005.

يحظون بتأييد وطني محدود لكنهم يحظون بدعم محلي بما فيها مناطق الزهراني وبعلبك[101]. وعندما بدا أن معظم جماعات المعارضة المارونية على استعداد لغض النظر عن نقاط الاختلاف هذه، احتجت المعارضة بالإجماع على التقسيم الانتخابي المقترح لبيروت كمحاولة مكشوفة لحرمان الحريري من فوزه المتوقع الكبير في العاصمة[102]. ومن نقاط الخلاف الأخرى حقيقة تمسك اقتراح التقسيم بالقيود الصارمة جدا المفروضة على الإعلام أثناء فترة الانتخابات والتي كانت موضع انتقادات واسعة[103].

وبدل أن يضعف اغتيال الحريري المعارضة أو يخيفها فان المعارضة اكتسبت القوة، ورصت صفوفها في المطالبة بانسحاب سوريا الفوري بعد أن اقتنعت بمسؤولية النظام البعثي. ففي 16 شباط (فبراير) 2005 تدفق مئات الآلاف من الناس إلى شوارع وسط بيروت لوداع مؤثر لرئيس الوزراء السابق. ولم تقتصر الجماهير على الموالين للحريري وأولئك الذين انتفعوا من عطائه وكرمه عبر السنين، ففي مظهر غير مسبوق على الوحدة التي تخطت الحدود

[101] مقابلة كرايسز جروب مع وليد فخر الدين من الرابطة اللبنانية للانتخابات الديمقراطية، 8 نيسان (أبريل) 2005. والمفارقة أن هذا النظام سيلحق الضرر بالموالين في الجنوب وفي جبل لبنان.

[102] حسب قانون 1960 قسمت بيروت (التي تشكل محافظة واحدة) إلى عدة مناطق. وكان الاقتراح الذي قدم في كانون ثاني (يناير) 2005 يهدف إلى التلاعب بنتائج انتخابات هذه المناطق مسبقا، مما كان سيؤدي إلى تفتيت أصوات المناطق السنية المؤيدة للحريري، ولو تم العمل بموجب هذا الاقتراح لما كانت للحريري فرصة للصمود في المنطقة الأولى ذات الأغلبية الشيعية (نظراً لإلحاق منطقة الرميل ذات الأغلبية المسيحية بالمنطقة الثانية). بينما كان عليه أن يعقد تحالفات انتخابية مع سياسيين غير سنيين في المنطقتين الأخريين (نظرا لسلخ المنطقة ذات الأغلبية السنّية –مينا الحصن– وعين المريسح عن المنطقة الثانية وضمهما إلى كل من المنطقة الأولى والثالثة على التوالي). راجع الحياة 27 كانون ثاني (يناير) 2005.

[103] تنص المادة 68 من قانون الانتخابات لعام 2000 على حظر تام على الدعاية أثناء الحملة الانتخابية وتم تطبيق هذه المادة في الانتخابات الفرعية التي أجريت في حزيران (يناير) 2002 لملئ المقعد الشاغر في منطقة المتن لإغلاق محطة تلفزيون المر والذي يملكها غابريل المر الذي رشح نفسه للانتخابات عن المعارضة ضد ابنة أخ زوجته وشقيقة وزير الداخلية واسمها ميرنا المر. لمزيد من التفاصيل راجع غاري غامبل "أهداف إغلاق محطة تلفزيون المر والإجراءات الصارمة اللاحقة" في نشرة مخابرات الشرق الأوسط Gary Gambill, "Objectives of the MTV Closure and Ensuing Crackdown", in *Middle East Intelligence Bulletin*، تشرين أول (أكتوبر) 2002.

الطائفية فقد ضمت تلك الجموع الغفيرة وجهاء من الدروز وشيوخ السنة والنشطاء المسيحيين. وفي إشارة إلى المذاهب الرئيسية الثلاثة كتبت الكلمات التالية تحت صورة ضخمة للزعيم المغدور: " كلنا معك يا رفيق: كلنا محمد وطوني وعلي... نحن كل لبنان". فقد تجمع الكل: الغني والفقير، الذين يلبسون الأزياء الغربية أو الملابس الإسلامية المحتشمة وسكان بيروت وسكان القرى البعيدة مثل عكار باستثناء ممثلي الأقلية الشيعية.

ولم يرى المراقبون للمشهد اللبناني منذ وقت طويل صورا تتحدى الجار القوي بهذا الوضوح. وكتب المتظاهرون على عجل على إحدى اليافطات التي علقت أمام مسجد محمد الأمين مكان دفن الحريري عبارات مثل: "أخرجي يا سوريا، نحن نكرهك" و"سوريا: من بعد الحريري؟", "كفانا فاشية سوريا في لبنان" و"بشار، لقد ضقنا بك ذرعاً" و"نعم لسيادة لبنان، لا لسجن سوريا". وخاض محال لبناني إلى القول بعد ساعات من موت الحريري: "يمثل هذا اليوم نهاية الوجود العسكري السوري في لبنان"[104]. وتعرض حلفاء سوريا في الحكومة لتعابير مماثلة من الازدراء وأخبر أفراد من عائلة الحريري مسؤولين حكوميين بأن لا يشاركوا في الجنازة وقد أحسوا بالانزعاج لمشاهدتهم مؤشرات متزايدة على تدهور مصداقيتهم[105]. وكما علق طالب ناشط: "لقد أنهى اغتيال الحريري فترة طويلة من الخوف والصمت"[106].

ولم يكن التحالف السريع والانتهازي الذي قام به أعضاء من الطبقة السياسية اللبنانية الذي جاء احتراما لذكرى الحريري وضد سوريا، وهم الذين كانوا قبل ذلك قد انتقدوا رئيس الوزراء السابق وأظهروا ولاءهم لدمشق –لم يكن لهذا التحالف أن يمر دون أن يلفت الانتباه[107]. فمن ناحية سياسية بدأت الرياح تهب بسرعة وبوضوح عكس ما تشتهيه سوريا والحكومة اللبنانية. وقد يكون هذا الاستقطاب أو لا يكون هو ما أراده الحريري على الرغم من بعض الشائعات التي تحدثت عن أمله بالقيام مرة أخرى بدور الوسيط بين سوريا ومنتقديها اللبنانيين[108]. ولكن مقتله لم يترك أي خيار. وانضم مؤيدوه وأفراد أسرته بقيادة شقيقته بهية علنا للمعارضة. وترك تجمع للإسلاميين السنة والمعروفين باسم الجماعة الإسلامية الكتلة المؤيدة لسوريا في عين التينة بقيادة رئيس البرلمان نبيه بري لتنضم إلى المعارضة[109]. وأكثر من ذلك فان السنيين، بينما لم ينسوا الصراع المرير والعنيف مع المارونيين، رصوا صفوفهم مع الجبهة المناوئة لسوريا بعد وفاة ممثلهم الرئيسي. "لقد شعر كثير من السنة دائما بأنهم دفعوا ثمن المعارضة لسوريا ويتذكرون سلسلة عمليات قتل السياسيين السنة في عقد الثمانينيات. بهذا الخصوص كانت جريمة قتل الحريري تذكيرا قاسيا"[110].

في 18 شباط (فبراير) 2005 وفي محاولة لرفع درجة الرهان أصدرت المعارضة بيانا مشتركا للإعلان عن استمرار "الانتفاضة السلمية والديمقراطية من أجل الاستقلال" إلى أن تتم الاستجابة الفورية لجميع مطالبها وهي: التحقيق المحايد في مقتل الحريري، طرد جميع رؤساء أجهزة الأمن والمخابرات اللبنانية واستقالة حكومة كرامي[111]. وعندما اجتمع البرلمان في 28 شباط (فبراير) للتصويت على الثقة بالحكومة تجاهل آلاف من المتظاهرين الحظر الرسمي وتجمعوا في ساحة الشهداء بينما شل إضراب أجزاء واسعة من البلاد. وعلق الصحفي والناشط سمير قصير ساخرا: "إذن هذا هو شكل نهاية نظام"[112]. في نفس اليوم، وقبل أن يصوت البرلمان الذي يسيطر عليه الموالون لسوريا، أعلن كرامي تخليه عن تشكيل الحكومة. وبكلمات أحد المتظاهرين: "في مظاهراتنا الأولى كنا نشك

---

[104] مقابلة كرايسز جروب، واشنطن 14 شباط (فبراير) 2005.

[105] هؤلاء المسؤولون الحكوميون الذين تحدثوا عن الأحداث لم يساعدوا في تحسين الأمور. فقد علّق وزير الدولة ألبرت منصور قائلا: "إن أي شعار يرفع عند جثة ميت لا معنى له" وهي عبارة زادت من غضب قطاعات واسعة من الجمهور. الديلي ستار 18 شباط (فبراير) 2005.

[106] مقابلة كرايسز جروب، بيروت 1 آذار (مارس) 2005.

[107] بكلمات أحد النشطاء: "من هم كل هؤلاء الذين (غيروا مبدأهم) في اللحظة الأخيرة؟ قبل أسابيع كانوا يقولون تماما عكس ما يقسمون عليه اليوم. حتى الانتهازية السياسية يجب أن يكون لها حدود. هؤلاء الناس لا كرامة لديهم". من مقابلة كرايسز جروب، آذار (مارس) 2005. ودعا معلق سياسي خالطا الجد بالهزل إلى "انتفاضة داخل الانتفاضة" لتخليص المعارضة من هؤلاء الذين ظلوا حتى وقت قريب من أقوى حلفاء سوريا. سمير قصير في النهار، 1 نيسان (أبريل) 2005.

[108] مقابلة كرايسز جروب مع مسؤول لبناني، شباط (فبراير) 2005.

[109] النهار 26 شباط (فبراير) 2005.

[110] مقابلة كرايسز جروب مع صحفي لبناني، بيروت 3 آذار (مارس) 2005.

[111] وكالة الصحافة الفرنسية 18 شباط (فبراير) 2005.

[112] مقابلة كرايسز جروب، بيروت 28 شباط (فبراير) 2005. وعلق ناشط من قرنة الشهوان: "لقد تم سقوط حائط الخوف. أنا لم أرى هذا من قبل". مقابلة كرايسز جروب، بيروت 28 شباط (فبراير) 2005.

في قدرتنا على صنع أي تغيير، أما الآن فقد أسقطنا كرامي ونشعر بأننا نستطيع أن نغير الأمور"[113].

أدى الإقبال الهائل على المشاركة بمظاهرة حزب ا في وسط بيروت (والتي قزمت بأعدادها المظاهرات السابقة) إلى تراجع المعارضة، فإضافة إلى الشعبية الهائلة التي يحظى بها حزب ا ، وهو أكثر الحركات قوة وتنظيما، ويمثل أكثر الأقليات عددا في البلاد، أوضحت المظاهرة أيضا أن قسما هاما من البلاد ليس له تمثيل في المعارضة ولا يمكن تجاهله. وتحول الحدث فورا إلى تطور سياسي لأنه زاد من قوة المعسكر الموالي لسوريا واكتسب طابعا عقائديا زاد من احتمالات الانقسام الطائفي. ورفض لحود بعد أن قوي موقفه رفض مطالب المعارضة لإجراء تحقيق مستقل في اغتيال الحريري، ورفض طرد المدراء الأمنيين وطلب من كرامي تشكيل حكومة جديدة.

وعلى أية حال وبأسلوب له دلالته كان تراجع المعارضة مؤقتا، إذ أنها استطاعت يوم 14 آذار (مارس) حشد أكبر مظاهرة في البلاد و بشكل فاق كل التوقعات[114]. وحققت المظاهرة هدفا هاما أخر، ففي مظاهرات المعارضة السابقة كان معظم المشاركين من الشباب ومتوسطي الأعمار والتي أطلق عليها وصف "ثورة الغوشي"[115]. ولكن هذه المرة احتشد السنيون بكثافة قادمين من جميع القرى في لبنان وانضموا إلى المسيحيين والدروز[116]. وأخيرا فقد بدا أن المظاهرة قد تركت أثرها حيث أخلت مكاتب المخابرات السورية مقراتها في منطقة الحمرا ومنطقة الرملة البيضاء عند شاطئ البحر ومنطقة (بو- ريفاج) في وسط البلد[117].

وعلى الرغم من كل نجاحاتهم -وكانت في غاية الأهمية- لم يستطع أعضاء المعارضة تناسي الانقسامات السابقة أو التي يمكن أن تتجدد في المستقبل. فقد اتحدوا حول بعض المطالب مثل أولا: موضوع التمديد للحود، ثم بعد اغتيال الحريري على المطالبة بتحقيق دولي واستقالة رؤساء الأجهزة الأمنية وانسحاب الجيش السوري، ولكن هناك عناصر مختلفة من المعارضة منقسمة بسبب مواضيع أخرى مما أثر على فعاليتها ومنح الحكومة وسوريا مجالا للمناورة.

فالمعارضة هي عبارة عن تجمع لعدة جماعات لها ماض متباين، بعضها عرف بمعارضته المستمرة للوجود السوري، وبعضها رحب بتلك المعارضة وعمل معها منذ البداية، وبعضها عارض اتفاق الطائف وبعضها لم يعارضه، وفي مناسبات معينة كان لكل طيف أجندته الخاصة. تشكلت الخلافات أولا حول تفسير قرار 1559 وموضوع استقالة لحود والمواقف من سوريا[118]. بينما أيدت جماعة عون وبعض الجماعات المارونية إجراء مجلس الأمن وشكرت الولايات المتحدة لضغطها على سوريا، واتخذ جنبلاط اتجاها أكثر حذرا خاصة في معارضته لما نص عليه القرار 1559 حول نزع أسلحة كل الجماعات المسلحة(اقرأ عن حزب ا)، وفي البداية ألمح إلى إمكانية بقاء سوريا في منطقة شرقي البقاع في لبنان كرادع ضد أي عمليات قد تقوم بها إسرائيل[119]. وبالمثل حث جنبلاط في البداية على استقالة الرئيس لحود، بينما تبنت الجماعات المارونية وجهة نظر البطريرك الصفير القائلة أنه حسب القانون يجب أن يكون الرئيس مارونيا فانه يجب ترك البت في هذا الأمر للجالية المارونية[120]. وعكس ذلك الاختلاف اعتبارات سياسية عملية

[113] مقابلة كرايسز جروب مع متظاهر في ساحة الشهداء 28 شباط (فبراير) 2005.

[114] حسب بعض المراقبين حشد حزب ا نصف مليون متظاهر، أما مظاهرة 14 آذار (مارس) فقد قيل أنها ضمت ما يقارب الـ 800 ألف متظاهر. وعلى كل حال لا بد من التعامل مع هذه التقديرات بحذر. راجع وكالة الصحافة الفرنسية 14 آذار (مارس) 2005.

[115] مقابلات كرايسز جروب مع صحفيين ونشطاء لبنانيين آذار (مارس) 2005.

[116] وبتنظيم عكس اتجاهاتهم وأوقات وصولهم تجمع المسيحيون عند الجانب الشرق لساحة الشهداء والمسلمون السنّيون عند الجانب الغربي والدروز في الوسط.

[117] مقابلات كرايسز جروب مع محللين ونشطاء لبنانيين، آذار (مارس) 2005.

[118] كان جنبلاط على سبيل المثال أحد أعمدة العلاقة اللبنانية – السورية إلى جانب الحريري حتى ظهرت الخلافات في نهاية عقد التسعينيات وخاصة حول اختيار سوريا للحود.

[119] في الاجتماع السنوي للحزب الاشتراكي التقدمي أعلن جنبلاط تأييده لنشاطات حزب ا المقاومة حتى تنسحب إسرائيل من مزارع شبعا. وفي الوقت الذي دعا فيه إلى "إصلاح" العلاقات مع سوريا، أعلن أيضا أن تلك العلاقات يجب أن تظل "قوية"، من صحيفة النهار، 29 تشرين ثاني (نوفمبر) 2004.

[120] مقابلة كرايسز جروب مع أعضاء من المعارضة، بيروت كانون ثاني (يناير) 2005. إن موضوع مصير لحود هو موضوع شائك فبينما كان تمديد مدة رئاسته هو الذي خلق الأزمة فان استقالته قبل انتخابات البرلمان الجديد تعني أنه ما يزال بإمكان البرلمان الموالي لسوريا اختيار رئيس موالي لسوريا لست سنوات جديدة، أو أن الأزمة الدستورية ستزداد تعقيدا. "فالحجة الرئيسية للإبقاء على لحود رئيساً كانت عدم التجاوب مع اللعبة السورية بل خلق أزمة دستورية، ولكن لم يتفق على هذا الرأي كل من في المعارضة. والحقيقة أنه إذا

أخرى: رئيس جديد ينتخبه البرلمان الحالي قد يكون أكثر اعتدالا من رئيس يختاره البرلمان القادم حيث يتوقع أن يحظى "العونيون" بحصة جيدة من المقاعد[121].

في 5 آذار (مارس)، عندما أعلن الرئيس بشار إعادة انتشار فوري للجيش وعن الانسحاب بعد ذلك فقد اتسم رد فعل المعارضة بالانقسام خاصة بين أولئك الذين رحبوا بالخطوة الإيجابية (مثل جنبلاط) وبين أولئك الذين انتقدوا عدم تحديد جدول زمني واضح وعدم الإشارة إلى ضباط المخابرات في لبنان[122]. وبرزت الانقسامات والشكوك حول تشكيل حكومة جديدة، بعد استقالة حكومة وإعادة تكليف كرامي، في صفوف المعارضة المنقسمة حول رفض الانضمام للحكومة حتى تتم الاستجابة لمطالبها، وبين القلق من عدم المشاركة في العملية السياسية، أي أن لا تكون لها كلمة في صياغة القانون الانتخابي الهام الجديد[123]. وفي وقت سابق اتضحت الخلافات أكثر حول مسألة القانون الانتخابي، فهذا الشلل يفيد الحكومة التي كانت تنوي تأخير العملية بينما تضع اللوم في ذلك على المعارضة لعدم مرونتها ومطالبها غير الواقعية وتكون النتيجة المتوقعة فراغا دستوريا بدون حكومة أو قانون انتخابي أو برلمان، وفي أحسن الأحوال، رئيس جمهورية غير متفق عليه[124].

وفي حين بدت تلك الاختلافات هائلة ومتنوعة تميز مثل هذا التحالف، وكما هو متوقع في أية معارضة، وعلى الرغم من أن توحدها حتى هذا اليوم تجاوز التوقعات، إلا أن هناك ما يدعو إلى القلق نظرا لتاريخ البلد المليء بالصراع المحلي والنزاع الطائفي والتدخلات الخارجية. يغطي التنوع في الأساليب والتكتيك حاليا على الخلافات الاستراتيجية الأعمق حول تقاسم السلطة في الداخل والعلاقات المستقبلية مع سوريا وإسرائيل ومصير حزب ا . ومن المحتمل أن تعود هذه المسائل للظهور إذا دانت السلطة للمعارضة. وسيكون الاختبار الأول المحتمل هو انتخاب رئيس جديد. ولا يخفي بعض أعضاء المعارضة قلقهم من رؤية تصرف بعض المارونيين "وكأنهم ورثوا بلدا كانوا قد فقدوه قبل خمسة عشر سنة، متجاهلين التغييرات الديموغرافية والسياسية الهائلة التي حدثت منذ ذلك الحين"[125]. ويتوقع آخرون تجدد مطالب الأقليات وشكاواهم والتي تبدأ بالمطالبة بسلطة أكبر للشيعة الذين يقل تمثيلهم عن حجمهم الحقيقي، إلى مطالب ذات توجه بناء فيدرالي من المارونيين الأقل عددا[126]. ويمكن للضغط الأمريكي لنزع سلاح حزب ا ولتغيير النظام في دمشق أن يزيد التوترات والانقسامات.

وأعرب عضو بارز من معسكر لحود، وهو يراهن على عودة الخلافات العميقة هذه وعلى التقاليد العريقة للسياسة اللبنانية الداخلية، عن ثقته بأنه وعلى الرغم من المظاهرات الحاشدة ضد سوريا والضغوط الدولية وحتى الانسحاب السوري الجزئي فان التيار سينقلب ثانية: "جميل أن نسمع مثل هذا الحديث من المعارضة عن الاستقلال وخاصة للناس العاديين. إذ يقولون (سنحرر لبنان) ولكن البلد مجزأ. لا تنخدعوا بذلك. فهذه هي الحقيقة. واعتقادي أن (حملة المعارضة المعلنة للاستقلال) هي فقط 20% من القصة أما 80% مما يحدث فعلا فهو غير معلن. فهذا ليس أكثر من اتفاق سياسي بين بعض الزعماء السياسيين والدينيين. ولن يمضي وقت طويل قبل أن يفشل وصدقني ففي بضعة أشهر (فان جماعات المعارضة المارونية) ستواجه مشاكل مع جنبلاط أكثر مما تواجهه معنا الآن.

المفارقة أنهم جميعهم كانوا جزءا من النظام الذي يقولون أنهم يعارضونه الآن. هم الذين أوجدوا ذلك النظام. ولن يطول الوقت

زاد تورط لحود بالمناورات السورية فإننا سنطالب باستقالته" من مقابلة كرايسز جروب مع عضو من المعارضة. بيروت 3 آذار (مارس) 2005. وسيناريو آخر خَشِيتْه المعارضة كان إذا استقال لحود ولم يتمكن البرلمان من انتخاب خليفة له فان رئيس البرلمان-نبيه بري- الموالي لسوريا سيصبح رئيسا مؤقتا حسب نص الدستور. من مقابلة كرايسز جروب مع مستشار معارض برلماني لبناني، بيروت 4 آذار (مارس) 2005. وادعى مسؤولون في حزب جنبلاط أن البطريرك أراد تجنب ظهور زعيم درزي يحل محل رئيس ماروني. مقابلة كرايسز جروب مع عضو في المكتب السياسي للحزب التقدمي الاشتراكي، بيروت 4 آذار (مارس) 2005.

(121) مقابلات كرايسز جروب مع محللين لبنانيين، آذار (مارس) 2005.

(122) وصف الرئيس اللبناني السابق وعضو المعارضة أمين الجميل إعلان بشار بأنه "زوبعة في فنجان" مؤسسة الإذاعة اللبنانية 7 آذار (مارس) 2005.

(123) دعا جبران تويني وهو عضو بارز من قرنة الشهوان ويوناني أرثوذكسي ورئيس تحرير صحيفة النهار وصف إعادة التعيين "بأنه إهانة للجمهور اللبناني ودليل آخر على خنوع السلطات اللبنانية لإرادة سوريا" النهار 10 آذار (مارس) 2005. ووصفت قرنة الشهوان القرار "بأنه الاغتيال الثاني للشهيد رفيق الحريري" صحيفة السفير 11 آذار (مارس) 2005.

(124) مقابلة كرايسز جروب مع صحفي لبناني، 6 آذار (مارس) 2005.

(125) مقابلة كرايسز جروب مع عضو في المعارضة، بيروت، آذار (مارس) 2005.

(126) ألمح محلل لبناني إلى أن التغييرات الديموغرافية والمثال العراقي قد يولد مثل هذه المطالب. مقابلة كرايسز جروب، نيسان (أبريل) 2005.

حتى يدرك الناس في الشارع هذا. ثم ماذا بعد ذلك؟ ستكون هناك قيادة منقسمة وشعب خاب أمله. وفي نهاية المطاف فلدينا هذه القاعدة البسيطة في لبنان. لا يمكنك استثناء أحد. لقد حاولنا ذلك من قبل. وسنعود إلى اقتسام الكعكة. وإذا لم يحصل ذلك، أي إذا رجحت كفة الميزان لصالح طرف واحد فسنتجه إلى مكان لا يريده أحد وستبدأ دوامة العنف (الحرب الأهلية) من جديد[127].

بعد المظاهرة الحاشدة في 14 آذار (مارس) اتضحت بعض نواحي الوضع السياسي، أما النواحي الدستورية والعقائدية فإنها لم تتضح. فنجاح المعارضة الفذ في تعبئة الشعب اللبناني ساهم بلا شك وبشكل حاسم في قرار سوريا لإعادة نشر جنودها ووعدها بالانسحاب قبل نهاية نيسان (أبريل). وساعد أيضا على تكاتف المجتمع الدولي ومسح أي خلافات معيقة تتعلق بالقرار 1559. وبكلمات دبلوماسي غربي: "لقد فرض لبنان نفسه على الأجندة"[128]. ومع ذلك فلم يكن هناك انفراج قريب للشلل الحكومي والدستوري يلوح في الأفق بعد وفاة الحريري، حيث فقد البرلمان المشرفة فترته على الانتهاء مصداقيته، وهناك رئيس لا يحظى بالإجماع وعلى أحسن تقدير حكومة قصيرة العمر وجهود مستمرة من قبل الموالين لتأخير الانتخابات عن طريق اقتراح نظام انتخابي جديد. لقد كشفت المظاهرات والمظاهرات المضادة المثيرة للقلق عمق الانقسامات في المجتمع اللبناني.

ج- الأقلية الشيعية، حزب ا والمعارضة

1- الشيعة على الهامش

عندما سار مؤيدو جنبلاط جنبا إلى جنب مع أعدائهم المارونيين القدماء، وعندما غطت صور السياسي السنّي المغدور الجدران والمحلات التجارية في حي الأشرفية المسيحي في بيروت، كان واضحا أن حركة المعارضة قد تجاوزت الخطوط الطائفية المحظورة. وأعرب زعماء الشيعة وأتباعهم عن صدمة وحزن حقيقيين لاغتيال الحريري، وبكلمات شيخ كبير:

> "لقد أدمت هذه الجريمة قلب كل لبناني. بموت الحريري لم نفقد سياسيا سنيا فقط بل فقدنا لبنانيا أصيلا ورجل دولة عربي وهذا ليس مجرد كلام بل هذا هو شعورنا. أنا متأكد أن كثيرين من الشيعة قد شاركوا في جنازة الحريري"[129].

وأدركت جماعات المعارضة أن قياداتها وكوادرها تضم العديد من الشيعة وبشكل رئيسي بين صفوف الحركة اليسارية الديمقراطية[130].

وبنفس المعيار سيكون من السذاجة المفرطة افتراض عدم وجود مشاعر سلبية بين الشيعة إزاء بعض مظاهر الدور السوري في لبنان، فحسب استطلاع للرأي أجري في آذار (مارس) 2005 يريد معظم الشيعة من دمشق إما إعادة الانتشار أو سحب جنودها[131]. فالانتقادات كثيرة وأحيانا عنيفة. فصادرات سورية إلى لبنان، سواء كانت قانونية أو مهربة، تعتبر ضارة بالقطاع الزراعي في المناطق ذات الأغلبية الشيعية في البقاع وجنوب لبنان وذلك على ضوء دعم الدولة السورية لقطاعها الزراعي وفروق الأجور الشاسعة في البلدين[132].

---

[127] مقابلة كرايسز جروب، بيروت 9 آذار (مارس) 2005.

[128] مقابلة كرايسز جروب الهاتفية، 1 آذار (مارس) 2005.

[129] مقابلة كرايسز جروب، بيروت 3 آذار (مارس) 2005. وأكد استطلاع (زغبي) أن أغلبية اللبنانيين من كل الجماعات العقائدية شعروا "بالغضب والحزن والصدمة" لمقتل الحريري. راجع زغبي إنترناشونال، 7 آذار (مارس) 2005.

[130] مثال تكررت الإشارة إليه هو حبيب صادق السياسي الشيعي اليساري. فقد رشح صادق نفسه في الانتخابات البرلمانية 2000 ضد حزب ا وحركة أمل. وقد حصل هو وحلفاؤه على ثلث الأصوات الشيعية في جنوب لبنان. راجع: http://www.libanvote.com "إن القول بأن حزب ا وأمل يسيطران على الشيعة هو ضرب من الخيال إذ أنهما لم يحصلا على أكثر من 60% من الأصوات الشيعية. وهناك العديد من زعماء الشيعة والنشطاء البارزين ومنهم قريبون من المعارضة مثل حبيب صادق وحسن أمين (وهو كاتب) وعائلة الأسعد. "من مقابلة كرايسز جروب مع زعيم الحركة اليسارية الديمقراطية، بيروت 1 آذار (مارس) 2005.

[131] 24.6% من الشيعة الذين أعطوا أجوبتهم قالوا أنهم يفضلون "انسحابا كاملاً وفوريا" وقال 39.2% منهم أنهم يفضلون إعادة الانتشار في البقاع. و36% تقريبا قالوا "أنهم لا يؤيدون الانسحاب" السفير 11 آذار (مارس) 2005.

[132] البيانات الرسمية متوفرة لكن منظمة الزراعة والأغذية تصف لبنان "بأكبر شريك تجاري غير رسمي لسوريا" في المنتجات الزراعية. راجع منظمة الزراعة والأغذية: "الزراعة السورية على مفترق طرق" روما 2003.

ويلوم كثير من العمال الشيعيين اللبنانيين أقرانهم السوريين ذوي الأجور الأقل بأخذ الوظائف التي لا تتطلب مهارات عالية[133]. وينظر عادة إلى حلفاء سوريا المقربين وخاصة نبيه بري زعيم حركة أمل على أنهم أفضل من كرس المحسوبية والفساد[134].

ومع ذلك، وبالنسبة للقسم الأكبر من الشيعة، فانهم لم يشعروا أن المعارضة تمثلهم أو أنها تعكس مطالبهم. وفي حين لا يمكن القول أن حزب الله أو حركة أمل تعكسان وجهات نظر الشيعة ككل، إلا أن هاتين المنظمتين هما أقوى المنظمات الشيعية. فحزب الله هو الأفضل تنظيما وانضباطا (وقد يقول البعض أنه المنظمة الوحيدة التي تتمتع بالتنظيم والانضباط) من بين المنظمات اللبنانية وتجد تجاوبا قويا بين الشيعة.

لقد اتضحت الاختلافات بين الشيعة والأقليات اللبنانية الأخرى منذ البداية، فبعد اغتيال الحريري بيوم واحد خلت كل بيروت من الناس وأغلقت فيها جميع المحلات التجارية ولكن الحياة في حي (الضاحية) ذات الأغلبية الشيعية التي تقع في ضواحي بيروت الجنوبية استمرت كالمعتاد على الرغم من أن سكان هذا الحي أعربوا عن اشمئزازهم من عملية القتل[135]. لم يعكس التفاوت هذا عدم المبالاة بمقتل الحريري بل عكس تقديرات متباينة لأثر الاغتيال. وقد كتبت عبارات قاسية مناوئة لسوريا كمؤشرات مشؤومة من منظور إقليمي تميز بجهوده لزعزعة استقرار سوريا والسيطرة على حزب الله بهدف نزع سلاحه وتقوية إسرائيل وإضعاف الشيعة. وساد شعور عام بالاشمئزاز لسرعة تحول حلفاء سوريا القدماء إلى المعسكر المضاد لها حتى بين صفوف الشيوخ والمراقبين الشيعة غير الملتزمين بأي اتجاه: "أنظر كيف يعبرون عن أنفسهم. إنها طريقة قاسية جدا وغير أخلاقية. ويقول كثير من الشيعة أن لا كرامة لجنبلاط، وهو يطلع علينا ليقول "أنتم (أيها السوريون) جئتم إلى هنا ونحن رحبنا بكم وتقاسمنا رزقنا معكم وساعدنا بعضنا البعض في الأوقات العصيبة" ثم يستدير ويتحول إلى عدو لدود لها. هذا غير أخلاقي ويشعر الشيعة العاديون بالحساسية من هذا التصرف لأنه يغذي شكوكهم"[136].

وأعرب العديد من الشيعة الذين قابلتهم كرايسز جروب عن قلقهم من أنه إذا تم للمعارضة ما تريد فان "العدوان" الإسرائيلي في المستقبل سيتم بدون حساب. لقد عانى[137] الناس في الجنوب من إسرائيل ولا يريدون أن يحدث ذلك ثانية"[138]. على هذه الخلفية فانه يتم تفسير دعم الولايات المتحدة للمعارضة على أنه تأكيد لمؤامرة خطيرة[139]. وبينما يفسر تصرف جنبلاط بالسذاجة أو الاستعداد غير المسؤول للمقامرة بمستقبل البلاد[140]، فإن الشكوك تحوم حول المارونيين

[133] منذ التسعينيات سيطر الحزب الوطني السوري الاشتراكي على وزارة العمل اللبنانية بحجة ضمان دخول العمال غير المهرة. راجع كمال ديب في النهار، 8 آذار (مارس) 2005.

[134] مقابلة كرايسز جروب مع رجل دين شيعي، بيروت آذار (مارس) 2005.

[135] عندما طلبنا شرح هذا قال صاحب محل في حارة حريق (من أحياء منطقة الضاحية): "سكان المناطق الأخرى أغنياء ونحن فقراء. لا نستطيع إغلاق محلاتنا. وألمح آخر أن اللوم يقع على إسرائيل قائلا: "الاغتيال عمل فظيع ولكن ليس أكثر فظاعة من عمليات القتل الإسرائيلية للزعماء اللبنانيين التي نتذكرها. لم نعلن الإضراب حينئذ". من مقابلات كرايسز جروب في حارة حريق (بيروت) 15 شباط (فبراير) 2005. وحسب استطلاع نظمه مركز بيروت للأبحاث والمعلومات فان 90.6% من الشيعة الذين اشتركوا في الاستطلاع يعتقدون أن عملاء الولايات المتحدة وإسرائيل هم الذين قتلوا الحريري، السفير 11 آذار (مارس) 2005.

[136] مقابلات كرايسز جروب مع رجل دين شيعي بارز، بيروت 4 آذار (مارس) 2005.

[137] "وأضح أن حزب الله يوفر الحماية ضد العدوان الإسرائيلي. ففي هذه المنطقة لا يعرف الإنسان أبدا متى سيحدث ذلك ثانية. إذا وجد شارون مبررا لمهاجمتنا فإنه سيقوم بذلك. مثلا إذا انفجرت قنبلة في تل أبيب علينا مواجهة ضربة إسرائيلية. تذكر أنه عندما لم تكن سوريا هنا في مطلع السبعينيات كانت إسرائيل تقصف وتقتل في جنوب لبنان أيضاً" مقابلة مع صحفي لبناني متخصص في الشؤون الشيعية، بيروت 2 آذار (مارس) 2005

[138] المصدر السابق.

[139] في نقاش مع الشيعة وجدت كرايسز جروب أن هناك شعوراً عاماً مناهضا للولايات المتحدة. من مقابلات كرايسز جروب، بيروت، شباط (فبراير)- نيسان (أبريل) 2005. على أية حال ألمح أعضاء في المعارضة أن التطورات الإقليمية الأخيرة وخاصة التقاء مصالح الشيعة العراقيين والولايات المتحدة قد تؤثر على وجهات النظر هذه. مقابلة كرايسز جروب، بيروت، 3 نيسان (أبريل) 2005. ألمح رجل دين شيعي كبير إلى نفس النقطة في مقابلة مع كرايسز جروب، بيروت 4 آذار (مارس) 2005.

[140] يمتدح الشيعة جنبلاط لمعارضته السابقة للعمليات العسكرية الإسرائيلية في لبنان ويعتبرونه عموما رجلا وطنيا. "من السهل إسكات سمير جعجع [قائد القوات اللبنانية] وأمين الجميل بالقول (لقد كنتم عملاء لإسرائيل) ولكن هذا لا يعني أننا نرى أن موقف جنبلاط الحالي يخدم مصالحنا". من مقابلة كرايسز جروب مع صحفي لبناني متخصص بالشؤون الشيعية، بيروت 2 آذار (مارس) 2005

بأنهم لم يكترثوا بمحنة الشيعة أثناء احتلال جنوب لبنان[141]، وان الوضع الحالي هو امتداد طبيعي لذلك الماضي البغيض. وأكد صحفي متخصص بالشؤون الشيعية وهو يعتمد على تحليل مشحون بالتوجه الطائفي: "الوضع يذكرنا بالماضي الذي يجب أن ننساه. فكروا في السياسات المارونية على مدى الخمسة والعشرين عاما الماضية، فقد دعموا جيش لبنان الجنوبي (وهو ميليشيا موالية لإسرائيل في جنوب لبنان تم حلها عام 2000) كما أنهم ساروا وراء الكتائب والقوات اللبنانية التي أقامت علاقات مع إسرائيل. لا يهتم هؤلاء الناس بأهل جنوب لبنان. المهم بالنسبة لهم هو جبل لبنان (الماروني-الدرزي)" [142].

على العكس من ذلك طبعا فالنظرة العامة لحزب ا هو أنه الحركة الوطنية الأصيلة الوحيدة والتي دفعت ثمنا باهظا لمقاومة إسرائيل[143]. وأكثر من ذلك يشير مراقبون للشؤون الشيعية أن العديد من أتباع هذه الجماعة يشكون في نوايا زعماء المعارضة المارونية ويعتقدون أن هؤلاء الزعماء يريدون تغيير المكاسب السياسية النسبية للشيعة التي نتجت عن اتفاق الطائف[144]: يخشى الشيعة أن انسحاب سوريا سيعرض مكاسبهم السياسية التي حققوها منذ الطائف بمساعدة سوريا للخطر. فلسوريا مكانة خاصة عند الشيعة بالرغم من أن ليس كل الشيعة راضون عن دور سوريا في لبنان ولا يؤيد كل الشيعة أمل أو حزب ا [145].

وردد مراقب شيعي وجهة النظر هذه بقوله:

> خطأ أم صوابا هناك خوف من أن المؤسسة السياسية المارونية ستستفيد من الدعم الدولي الحالي الذي تحظى به لاستعادة نفوذها الأكبر من وزنها الديمغرافي كما كان عليه الحال قبل الحروب اللبنانية"[146].

أن تجمع اتقاء الحذر من نوايا المعارضة بالمشاعر المختلطة إزاء سوريا والقلق العميق حول المستقبل أدى كله إلى مواقف غامضة وأحيانا متناقضة للشيعة من المعارضة. وأخبر الذين كانوا يستعدون للانضمام إلى المظاهرة المؤيدة لحزب ا في 8 آذار (مارس) 2005 -أخبروا كرايسز جروب أنهم كانوا سيحتجون على تدخل الولايات المتحدة في لبنان ولحملتها ضد سوريا وانهم انتقدوا المعارضة للاستفادة –المخجلة- من العدوان الأمريكي–الإسرائيلي[147]، معربين في الوقت نفسه عن كره عميق لسوريا عموما وتمسكوا بالأمل بأن سوريا ستخرج من لبنان في اقرب وقت ممكن[148]. وأطلع بعض مؤيدي حزب ا من الشبان منظمي المظاهرة على عبارة المعارضة المعلقة عند ساحة الشهداء التي تقول: "قلوبنا معكم ولكننا لا نستطيع الانضمام لكم"[149]، وبكلمات

---

[141] يسود بين الشيعة شعور قوي بعدم الثقة بالجماعات المارونية داخل المعارضة وهم يقولون: ألم ترو الصور التي حملوها للزعيمين المارونيين المخضرمين –سمير جعجع– وميشيل عون في المظاهرات؟". مقابلة كرايسز جروب مع رجل دين شيعي كبير، بيروت، 4 آذار (مارس) 2005

[142] مقابلة كرايسز جروب في بيروت 2 آذار (مارس) 2005. عبر كثير من سكان المناطق الشيعية من بيروت عن آراء مشابهة. مقابلات كرايسز جروب في حارة حريق و جناه في بيروت آذار (مارس) 2005.

[143] "من هم ليقولوا أننا لسنا وطنيين حقيقيين لأننا لم ندعم المعارضة كليا؟ ألم يدفع حزب ا والشيعة أفدح ثمن لإخراج الإسرائيليين؟". مقابلة كرايسز جروب مع مفكر شيعي وناشط يساري في بيروت، 8 آذار (مارس) 2005.

[144] كان اتفاق الطائف لعام 1989 بمثابة مسودة للنظام السياسي اللبناني. وبعد أن تم اعتماده عام 1990 كدستور جديد للبنان فقد اعتمدت بنوده لتسير شؤون البلاد في الوضع الذي نشأ نتيجة للحرب الأهلية. فاتفاق الطائف بالنسبة للمسلمين عموما وللشيعة خاصة قد صوب التفرقة الطائفية التي سادت من قبل ومنحتهم تمثيلا أفضل في البرلمان والحكومة. راجع جوزيف مايلا "وثيقة التفاهم الوطني: تعليق-أوكسفورد 1992 Joseph Maila, *The Document of National Understanding:A Commentary* (Oxford, 1992). وألبرت منصور "انقلاب على الطائف" Albert Mansur, *al-Inqilab 'ala at-Ta'if*، بيروت 1993. وأليرت منصور "موت جمهورية" Albert Mansur, *Mawt Jumhuriya*، بيروت 1994. وبناء على ذلك فان الإصلاحات المستوحاة من اتفاق الطائف لم تنجح في ترجمة الوزن الديموغرافي الشيعي بدقة إلى نفوذ سياسي. فالشيعة الذين يشكلون 26.2% من مجمل الناخبين المسجلين حصلوا على مقاعد أقل من الأقلية المارونية الأصغر حجما. وزارة الداخلية اللبنانية، نيسان (أبريل) 2005. يبدو عدم التوازن أكبر إذا أخذنا بعين الاعتبار حقيقة أن أدنى سن لحق التصويت هو 21 سنة الذي سيقلل من دور الشيعة صغار السن. وحسب سجل سكان لبنان فإن المجموع الكلي للشيعة يقدر بـ 29.5% مقارنة بـ20.5% للمارونيين. وكما تمت الإشارة أعلاه فان هذه الأرقام هي مجرد تقديرات تقريبية.

[145] مقابلة كرايسز جروب مع رجل دين شيعي، بيروت، 4 آذار (مارس) 2005.

[146] مقابلة كرايسز جروب مع مثقف شيعي وناشط يساري، بيروت 8 آذار (مارس) 2005.

[147] مقابلة كرايسز جروب في بيروت، 8 آذار (مارس) 2005.

[148] المصدر السابق.

[149] مقابلة كرايسز جروب مع طالب ناشط من الحركة اليسارية الديمقراطية، بيروت 1 آذار (مارس) 2005.

صحفي لبناني يغطي الشؤون الشيعية: "أود أن يرحل السوريون اليوم، ولكن بناء على تفاهم حول كيفية حماية مصالحهم الاستراتيجية في لبنان وأن يتم الانسحاب بموجب اتفاق الطائف وليس نتيجة للضغوط الدولية"[150].

2- حزب ا تحت الضغط

في تموز (يوليو) 2003 وصفت كرايسز جروب حزب ا "كثائر بدون قضية" و"منظمة منقسمة بين مكانتها الوطنية وهويتها كحركة للمقاومة"، "مشوشة بسبب التطورات الأخيرة، ومع ذلك تكافح لإيجاد موطئ قدم لها". وربما أن هدف إنشاء المنظمة ومصيرها وأكثر من أي وقت مضى منذ عام 1984 يبدو اليوم معلقا في الهواء"[151]. وفي رد مباشر على ما جاء في موجز كرايسز جروب أدرج (نواف موسوي) مدير العلاقات الخارجية لحركة حزب ا ، أدرج "عشرة أسباب" تستحق في رأيه "الثورة ضدها" بما فيها مشكلة اللاجئين الفلسطينيين في لبنان والسجناء اللبنانيين في إسرائيل وقدرة لبنان على الوصول إلى مصادر نهر الوزاني. واختتم بقوله: "لو لم يوجد حزب ا ، لوجب إيجاده"[152].

في ذلك الوقت كان انسحاب إسرائيل في أيار (مايو) 2000 من جنوب لبنان قد بدأ، وهو تطور يساعد على إلغاء سبب وجود ذلك الحزب، لكن قيادة حزب ا ظلت تعتقد بأنها تستطيع اتخاذ موقف – الانتظار والترقب- بدل الاندماج الكلي في المشهد اللبناني عن طريق تحوله إلى حزب سياسي تقليدي، "إن تأجيل النقاش الحاد الداخلي المحتوم والمراهنة على التطورات المستقبلية في العراق وعلى الجبهة الإسرائيلية- الفلسطينية، عن طريق تحويل المنطقة إلى بؤرة من التشدد، قد تجدد هدف وسبب وجود حزب ا أو تجدد قوة من يرعاه"[153].

بدل ذلك عملت مجموعة من الأحداث على زيادة عدم استقرار الحركة وقلصت من خياراتها وأجبرتها على اتخاذ قرار واضح حول دورها المستقبلي. وفيما يتعلق بالعراق، يعاني حزب ا نفسه من مشكلة معارضته القوية للولايات المتحدة وبسبب قرار الشيعة العراقيين العمل مع قوات التحالف[154]. ويزداد التوتر على ضوء الطابع المخيف لهجمات المتمردين ضد الشيعة في العراق، وكذلك الدور المعتدل الرائد الذي يقوم به رجال الدين الشيعة في النجف، وهم الذين يحظون بولاء هام من أتباعهم اللبنانيين[155]. وقد أصبح من العسير شرح و تفسير استمرار حزب ا في معارضة سياسة الولايات المتحدة "المفيدة للشيعة" في العراق لجماهير الشيعة في لبنان، بينما ما يزال الحزب يصدر التلميحات المؤيدة للتمرد "السني" المسلح[156]. وبدوره شجع هذا التوتر عملية الجذب نحو تفاهم غير مبني على العنف مع الغرب بدل اللجوء لأسلوب المواجهة العنيفة معه.

في فلسطين، قلل انتخاب محمود عباس كرئيس مقروناً بتجدد الجهود لصياغة وقف لإطلاق النار من قدرة حزب ا على التدخل وزاد من تكلفة التدخل. وبعد أن سلطت المصادر الأمريكية والإسرائيلية وحتى الفلسطينية الأضواء على نشاطات الحركة في الضفة الغربية، كان على حزب ا أن يفكر مرتين قبل القيام بأي عمل قد يطلق رداً دولياً قوياً ومركزاً. ويمكن رؤية الدليل على تأثير ذلك من محاولات المنظمة إنكار تورطها في الهجمات الفلسطينية المضادة للإسرائيليين، في اختلاف صارخ عن الممارسات السابقة. ففي حين كان الأمين العام لحزب ا الشيخ حسن نصر ا لا يخفي سراً عن

---

[150] مقابلة كرايسز جروب، بيروت 4 آذار (مارس) 2005.

[151] موجز كرايسز جروب عن الشرق الأوسط رقم 7 بعنوان (حزب ا ثائر بدون قضية؟) 30 تموز (يوليو) 2003 صفحة 1.

[152] السفير 21 آب 2003.

[153] موجز كرايسز جروب عن حزب ا .

[154] للاطلاع على معاداة حزب ا الأولية للولايات المتحدة في العراق راجع المصدر السابق. الصفحة 10الى 12 إذ اعترفت نشرة حزب ا الأسبوعية أن انتخابات 30 كانون ثاني (يناير) 2005 تشكل –الخطوة الأولى- نحو تسلم العراقيين –زمام أمورهم ونحو رسم مستقبل بلادهم-، الانتقاد، 7 شباط (فبراير) 2005.

[155] كما شرحت كرايسز جروب في موجزها مباشرة بعد الحرب (فإنه قد تكون للتطورات في العراق نتائج على العلاقات الداخلية الشيعية في لبنان وبالتالي على حزب ا) لمناقشة التوترات الناشئة عن تجدد ظهور النجف كمركز للسلطة الشيعية راجع موجز كرايسز جروب -حزب ا) الصفحات 12 إلى 14.

[156] في مطلع شباط (فبراير) 2005 ادعى وزير الداخلية العراقي فلاح النقيب أنه تم القبض على 18 عضو من حزب ا اللبناني بتهمة مساعدتهم للمتمردين. وأصدر حزب ا نفيا قوياً قائلاً: أن العالم كله ضد الولايات المتحدة. نحن لا نستطيع الإساءة إلى صورتنا بالتواجد في العراق. البيان الصحفي لحزب ا ، مؤرخ في 9 شباط (فبراير) 2005: أيضا مقابلة كرايسز جروب مع المتحدث باسم حزب ا حسين النابلسي. بيروت 16 شباط (فبراير) 2005.

دور حزبه النشط في دعم الجماعات المسلحة الفلسطينية، كما امتدح غالب عوالي (وهو مسؤول أمني في حزب ا اغتيل في بيروت في شهر تموز "يوليو" 2004) لأنه "كرس السنوات الأخيرة من عمره لمساعدة أخوتنا في فلسطين المحتلة"[157]. فإن الحركة الآن تنكر بشدة تقديم أي نوع من مثل هذه المساعدة[158]. وحسب قول الناطق باسم حزب ا الذي قابلته كرايسز جروب، فثمة مزاعم مخالفة لذلك "تخدم حملة كبيرة موجهة للدول الأوروبية لوضعنا على قائمة الإرهاب وتشويه صورتنا في العالم... نحن نقدم دعماً معنوياً للفلسطينيين ولقضيتهم العادلة على المستوى الإعلامي فقط". وأنكر أن حزب ا كان يرسل أموالاً لمن يقومون بتفجيرات انتحارية أو لذويهم، مدعياً أن الحزب يقوم بجمع الأموال للانتفاضة"، التي تحول إلى الفلسطينيين "الذين يقومون بتوزيعها على المحتاجين"[159].

الأزمة الآخذة في التشكل في لبنان حول دور سوريا، هي الأحدث وربما الأكثر أهمية في هذه التطورات، لأنها تشكك في هوية حزب ا الثنائية كحركة مسلحة ذات توجهات دولية ومنظمة وطنية اجتماعية سياسية تمثل من حيث المبدأ الطائفة الشيعية ولأنها توتر واحدة من علاقاتها الأساسية- علاقتها مع سوريا.

الأمر المشترك الذي نجده في كل حدث لاحق هو ازدياد الصعوبة أمام الحركة في أن تسترضي جميع قواعدها الشيعية، بما في ذلك المجتمع اللبناني، والشيعة، وسوريا، وإيران[160]. لكن الأزمة الحالية تقدم أصعب مأزق حتى الآن: هل تساند سوريا بقوة على أمل استمرار الاستفادة من الحماية المادية والسياسية، والمخاطرة بتبديد امتيازاتها الوطنية، واستبعاد الكثير من المؤيدين، الذين يكرهون الوجود السوري، وتعرض للخطر مكانتها المستقبلية إذا فازت المعارضة، أم تسوي وضعها على المسرح اللبناني، وتخسر حلفائها السوريين والإيرانيين أو أن تصبح عرضة للضغوط الأمريكية والإسرائيلية، أو يختصر حجمها وتتقلص إلى حزب سياسي عادي بعد إلقاء سلاحها؟[161]. حسب كل واحد من هذه السيناريوهات، وجد حزب ا نفسه مكشوفاً أكثر من أي وقت مضى لضغوط محلية ودولية للتخلي عن طبيعته العسكرية.

لطالما قاومت الحركة خيار التطبيع انطلاقاً من قناعات أيديولوجية واعتبارات برغماتية. وقد قاوم ذلك الخيار شخصيات قيادية كانوا يشعرون أن مهمة حزب ا أبعد من تمثيل شيعة المنطقة. أضف إلى ذلك أن ترسانتها العسكرية وتحالفها مع سوريا وإيران يساعدها على ردع إسرائيل، في حين أن ابتعادها النسبي عن مؤسسات الدولة اللبنانية لا يعطي الدولة اليهودية سوى القليل من الأهداف الواضحة لمهاجمتها[162]. إن جزءاً من سياساتها اللبنانية لديه، في أحسن الأحوال، قبولاً مختلطاً، فهي مفيدة من ناحية حماية الطائفة الشيعية، لكنها مؤذية لأن تلك السياسات قد طبعت بضيق الأفق، والفساد، وأخضعت لعلاقات الراعي – والرعية التقليدية[163]. ونتيجة لذلك، وفي حين كان للحزب دور فعال في البرلمان، فإنه لم يشارك في أي وزارة شكلت بعد الحرب. وما زال حزب ا يدافع عن مهمته المزدوجة حتى الآن، مجادلاً أنه ليس هناك أي تعارض طالما بقيت أنشطته المدنية والعسكرية تهدف إلى إقامة "مجتمع المقاومة" القادر بشكل أفضل على الصمود للهجمات المعادية[164].

عدم اليقين والأخطار الناجمة عن مأزق حزب ا الحالي ترجمت إلى مناورة حذرة صممت لإيجاد بعض المسافة بين الحزب ودمشق دون قطع الروابط، والحفاظ على مشروعيته ومكانته على المسرح السياسي المحلي مع التذكير بما لديه من قوة ومكانة خاصة وبالتالي

[157] أوردته قناة المنار التلفزيونية، 19 تموز (يوليو) 2004.

[158] مقابلة كرايسز جروب مع الناطق باسم حزب ا حسين النابلسي، بيروت، 16 شباط (فبراير) 2005.

[159] المصدر السابق.

[160] حول هذا انظر حسين آغا، "الليمون المر" Hussein Agha, Bitterlemons، 23 أيلول (سبتمبر) 2004.

[161] مقابلة كرايسز جروب مع محلل لبناني، آذار (مارس) 2005.

[162] انظر موجز كرايسز جروب، حزب ا المصدر السابق الصفحات 16-18. ويبرر حزب ا استمرار المقاومة بالإشارة إلى استمرار الانتهاكات الإسرائيلية للأراضي اللبنانية. وقد ادعى مؤخراً أن إسرائيل قد انتهكت الأراضي اللبنانية 9409 مرة منذ انسحاب أيار (مايو) عام 2000، معظمها جواً. انظر "الانتقاد"، 3 كانون الثاني 2005. وقد عبر الأمين العام الأمم المتحدة عن "قلقه العميق" للانتهاكات الجوية التي ترتكبها إسرائيل. انظر تقرير الأمين العام حول قوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان "للفترة من 21 تموز (يوليو) 2004 إلى 20 كانون الثاني 2005" 20 كانون الثاني 2005.

[163] موجز كرايسز جروب، حزب ا ، المصدر السابق ص17.

[164] شبكة حزب ا للخدمات... هي جزء وحزمة من فكرة حزب ا عن المقاومة... ولا يمكن النظر إليها كشيء مخالف لأجندة المنظمة العسكرية". وهو ينظر إلى أنشطته المسلحة والاجتماعية-السياسية على أنها جهود تكمل بعضها لإقامة "حالة إسلامية" شاملة. منى حرب ورلايناود ليندر "اعرف عدوك: حزب ا (إرهاب) وسياسات الإدراك الحسي". في فصيلة العالم الثالث، المجلد 26، 2005 ص197.

ضرورة استمرار حمله للسلاح[165]. ويبدو أن هدفه (الذي لم يتحقق إلا جزئياً) هو تقديم نفسه على أنه الجسر الوحيد الموثوق بين العناصر المؤيدة لسوريا والمعارضة[166]. وقد قال أحد المعارضين، "حزب ا في كتلة الموالاة، لكنه يحاول ألا يكون مثل الموالين الآخرين. فهو لا يريد أن يوجه بواسطة جهاز توجيه عن بعد" بيد أجنبية[167]. فمن جهة كانت علاقة نصر ا مع الحريري تختلف اختلافاً بيناً عن علاقته مع بشار، فقد كان رئيس الوزراء السابق يلتقي بشكل منتظم مع زعيم حزب ا ويعلن صراحة معارضته لنزع سلاح الحركة[168]. وقد تطلب الأمر بعض الوقت قبل أن يقوم حزب ا بتنظيم مظاهرته العامة، وبدلاً من مهاجمة المعارضة علناً لموقفها المناهض لسوريا، ناشد جميع الأطراف العمل لما فيه مصلحة الوحدة الوطنية. ورغم أن أعضاء الحزب قد صوتوا لصالح التمديد للحود، حرص الحزب على تبرير أن ذلك يرجع "لأسباب استراتيجية"، وأوضح أنه يعارض محاولات "عزل جنبلاط سياسياً"[169]. وفي رد فعل على تشكيل حكومة كرامي في تشرين الأول 2004، سجل حزب ا "عدداً من التحفظات المتعلقة بالوزارة الجديدة"[170]، ولا شك أن الخشية من استبعاد جزء كبير من الطبقة السياسية للبلاد "يخاطر بالقضاء على القدر المطلوب من الوحدة الوطنية التي تحمي حزب ا من الضغوط الخارجية[171].

وعندما نظمت تلك التظاهرة الجماهيرية يوم 8 آذار (مارس) 205، اختيرت الخطابات، والشعارات، والرموز بطريقة تعطي صورة حركة وطنية --وليس حزبية-- ورسالة متعاطفة مع سوريا دون الاصطفاف إلى جانبها. ورفعت الأعلام اللبنانية وليس رايات حزب ا ، وكان الشعار الرئيسي معارضة التدخل الأجنبي "والامتنان" لسوريا، والذي فهمه الكثيرون على أنه بمثابة تقديم وداع مشرف بدلاً من مناشدتها البقاء[172]. وما فسره البعض على أنه غير مهم، مع أنه بيان اختيرت كلماته بعناية، فسر نصر ا الموقف بالقول "نزع سلاح المقاومة مطروح للنقاش، ونحن نتوقع من شركائنا (في المعارضة) أن يقدموا لنا بدائل للدفاع عن بلادنا وشعبنا"[173].

في العام 2003، توصلت كرايسز جروب إلى أن حزب ا قد يقرر أن يصبح حزباً سياسياً تقليدياً "إذا ومتى أصبح ذلك ضرورياً للغاية"[174]. وفي حين أن ذلك الوقت لم يحن بعد، فيبدو أنه قد اقترب. فالأحداث الأخيرة قد ضغطت لعبة التوازن المعقدة التي تديرها الحركة إلى حد يقارب الكسر. في الوقت الحالي يتكل الحزب على وضعه الفريد كمنظمة وطنية مميزة والممثل الرئيسي للطائفة الشيعية، ومحاور ذي مصداقية للموالين والمعارضين مقروناً بحقيقة أن أي محاولة لنزع سلاحه بالقوة لن يتحقق إلا بتكاليف باهظة، ليواصل حمايته ويسمح له بالحفاظ على طبيعته السياسية العسكرية الغامضة. وكإجراء آخر، يشجع قادته بين الحين والآخر الشكوك تجاه المعارضة، بالإشارة إلى "بعض أحزاب المعارضة اللبنانية" التي ما زال لها علاقات مع إسرائيل وطموحها الخفي في التخلي

[165] أوضح نصر ا أنه طالما كان هناك "إجماع لبناني" حول التهديد الإسرائيلي، فإن البلاد "سيحتاج إلى مقاومة وسلاح مقاومة"، المنار، 6 آذار (مارس) 2005.

[166] "كان وضع حزب ا فريداً على الدوام. فحتى فترة قريبة كان يعتبر نفسه جزءاً من المعارضة دون أن يكون ضد سوريا. الآن هو مع سوريا لكنه ليس في معسكر الموالين. لذلك فهو خارج جميع المعسكرات ومن هنا يستمد قوته". مقابلة كرايسز جروب مع أمل سعد غريب، خبيرة حزب ا ، بيروت 1 نيسان (أبريل) 2005.

[167] مقابلة كرايسز جروب مع عضو المكتب السياسي PSP، بيروت 4 آذار (مارس) 2005.

[168] أخبر حسين النابلسي الناطق باسم حزب ا كرايسز جروب أن الحريري تعهد بأن لا يكون هناك نزع لسلاح حزب ا إذا أصبح رئيساً للوزراء مرة أخرى. بيروت 16 شباط (فبراير) 2005.

[169] ورد في المستقبل 28 تشرين الثاني (نوفمبر) 2004.

[170] ورد في النهار 29 تشرين الأول (أكتوبر) 2004.

[171] مقابلة كرايسز جروب بيروت، 9 كانون الأول (يناير) 2004، الأغلب أن لدى حزب ا القليل مما يبهجه لمنح شركاء منافسه نبيه بري دوراً مهماً في الحكومة بتولي وزارتي الصحة والعمل، وهما وزارتان لهما أهمية خاصة للجماعات متدنية الدخل لدى الطائفة الشيعية. وأعطي شريك آخر لبري وزارة الخارجية، وعلقت الأسبوعية الناطقة باسم حزب ا : "الطريقة التي وزعت فيها الحقائق الوزارية... تؤكد أن الهم الرئيسي هو التأكيد على توزيع موارد البلاد والإعداد للانتخابات البرلمانية المقبلة بدلاً من إيجاد طرق لمواجهة الحملة الخارجية"، "الانتقاد"، 1 تشرين الثاني (نوفمبر) 2004.

[172] مقابلات كرايسز جروب مع محلل لبناني، بيروت، باريس، آذار (مارس) 2005.

[173] المنار، 16 آذار (مارس) 2005. والذي يقول، أعلن نصر ا ما يلي: "إذا كان هناك من مجموعة في لبنان توفر مع الجيش اللبناني، والشعب والدولة نوعاً من الأمن والحماية – ويطلب منها أن تلقي سلاحها أو أن يعلن أنها منظمة إرهابية. فنحن مستعدون لأن نبقى منظمة إرهابية للأبد في عيون جورج بوش، لكننا لن نتخلى عن الدفاع عن بلادنا، ودم شعبنا، وشرفنا". المرجع السابق.

[174] موجز كرايسز جروب، حزب ا ، المرجع المشار إليه ص18.

عن "خطة بناء الدولة" حسب اتفاق الطائف --بكلمات أخرى، الانعتاق السياسي الشيعي-- و"القفز نحو المجهول"[175].

فإذا فشل رهانه هذا، فيبدو أن الحزب يعتمد على الشلل المزمن للبنية المؤسسية للبنان ما بعد الحرب، وعودة الخلافات السياسية والطائفية داخل المعارضة إذا ما تحقق هدفها الرئيس – إخراج سوريا من لبنان. ويعتقد أنه بعد انسحاب سوريا، ستفسح الدعوات النبيلة للوحدة الوطنية المجال أمام المناكفات السياسية، والفساد، والاختناق المؤسسي، تاركة القضايا المهمة مثل نزع سلاح "المقاومة" ليوم آخر. وحسب كلمات الناطق باسم حزب ا "افرض أن عون قد عاد إلى لبنان، فهل تعتقد حقاً أنه سيذهب إلى المختارة (مقر إقامة جنبلاط في الشوف) لتقديم فروض الاحترام والعمل صاغراً تحت مظلته؟ وإذا عاد عون وأطلق سراح سمير جعجع، فما الذي سيحدث لقرنة شهوان؟ لن يفوزوا حتى ولا بمقعد واحد في البرلمان"[176].

3- إجراء المعارضة لموازنة الوضع

اهتمامات الشيعة وحزب ا لم تغب عن انتباه المعارضة، التي أدركت بسرعة ضرورة استرضائها[177]:

- التقليل من أهمية القرار 1559 لصالح اتفاق الطائف. وبمرور الوقت راحت المعارضة تصيغ قراراتها حسب اتفاق الطائف لعام 1989 (الذي يدعو إلى إعادة نشر القوات السورية في البقاع يتلو ذلك الانسحاب)، مما يخفف الشعور بالتدخل الأجنبي والقسر، ويلاطف من قلق الشيعة (وحزب ا) ويخفف وقع الضربة الموجهة لدمشق[178]. والتأكيد على الطائف هو أيضاً طريقة لطمأنة الشيعة أن "الإصلاح السياسي" (أي انعتاقهم السياسي) سيبقى قائماً[179].

- استبعاد أي اتفاق منفصل مع إسرائيل. بعض زعماء المعارضة رفضوا أيضاً أي اقتراح بالسعي لعقد اتفاق سلام مع إسرائيل قبل التوصل لحل النزاع الإسرائيلي السوري – وهو ما يخشاه حزب ا وسوريا، كما حدث في أيار (مايو) 1983 إبان حكم الرئيس اللبناني السابق أمين الجميل[180]. وكان هدفهم عزل القضية اللبنانية بقدر الإمكان عن التوترات والتحركات الإقليمية الأوسع. وهذا يكتسب أهمية زائدة في ظل التقارير المستمرة غير المؤكدة التي تحث على اتصالات بين إسرائيل والمعارضة وتكرار البيانات الإسرائيلية الداعمة للحركة المناهضة لسوريا[181]. وقد أخبر عضو في حزب جنبلاط كرايسز جروب "نحن ضد عقد اتفاقية سلام مع إسرائيل قبل عقد اتفاق سوري-إسرائيلي. الموقف حساس جداً في لبنان

---

(175) حسن نصر ا ، على المنار، 16 آذار (مارس) 2005.

(176) مقابلة كرايسز جروب مع حسين النابلسي، بيروت، 1 نيسان (أبريل) 2005.

(177) اعترف أحد أعضاء قرنة شهوان أن هذا قد لا يكون الحال في البداية مستذكراً "حماقة" المعارضة في البداية تجاه الشيعة. مقابلة كرايسز جروب، بيروت 4 آذار (مارس) 2005.

(178) "اتفاق الطائف هو وثيقة المصالحة الوطنية الوحيدة في البلد. وتقبلها جميع المجموعات اللبنانية بما في ذلك جماعة عون". مقابلة كرايسز جروب مع زعيم حركة اليسار الديمقراطي، بيروت، 1 آذار (مارس) 2005. وكان قد شرح في وقت سابق أنه: "بالنسبة لنا التأكيد على الطائف أكثر من القرار 1559 أمر طبيعي. لقد خضنا حملة طويلة قبل تبني هذا القرار ومن المبالغة التقليل من أهمية حملتنا لصالح القرار 1559 والضغط الأجنبي"، مقابلة كرايسز جروب، 24 تشرين الثاني (نوفمبر) 2004. لقد سعت المعارضة إلى استبعاد الحجة القائلة أن القرار 1559 يستخدم لغة أكثر صراحة بالنسبة لانسحاب القوات السورية وعملاء الاستخبارات من اتفاق الطائف. "هذا هو تفسير [الموالين لسوريا]. لكن وحيث أن إسرائيل لم تعد تحتل جنوب لبنان فليس ثمة مبرر لبقاء القوات السورية. فالانسحاب الكامل هو من صلب اتفاق الطائف". المرجع السابق.

(179) "هذه الرسالة الداخلية بالغة الأهمية". مقابلة كرايسز جروب مع زعيم حركة اليسار الديمقراطي. بيروت 1 آذار (مارس) 2005.

(180) انظر ثيودور هانف، "التعايش في لبنان زمن الحرب" ,Theodor Hanf *Coexistence in Wartime Lebanon*، (لندن، 1993) الصفحات من 282-283.

(181) أشار نصر ا إلى التقارير التي ظهرت في وسائل الإعلام الإسرائيلية: "قالوا أن بعض زعماء المعارضة اتصلوا بالأصدقاء القدامى في الكيان الإسرائيلي وطلبوا منهم مساعدتهم كي تضغط إسرائيل على الإدارة الأمريكية لمواصلة سياستها تجاه لبنان وألا تتراجع. أنا لا أتهم أحداً في المعارضة، لكن ما كشفته الصحف الإسرائيلية بحاجة إلى جواب واضح من المعارضة". المنار 6 آذار (مارس) 2005. وعلقت صحيفة حزب ا بالمثل على الأمر، قالت: "مشاعر الفرح والسرور على ما يجري على أرض لبنان تبدو واضحة في البيت الأبيض الأمريكي والكنيست الإسرائيلي أكثر من أي مكان آخر، وأكثر من البيوت اللبنانية التي ما زال يلفها الحزن على الجريمة الفظيعة التي جرت في بيروت يوم 14 شباط (فبراير)، "الانتقاد"، 7 آذار (مارس) 2005.

بحيث لا يسمح أن يكون لنا سياسة مستقلة تجاه إسرائيل"[182].

- إقامة علاقات مع حزب ا وأعضاء من الطائفة الشيعية للتخفيف من شكوك الشيعة. حافظ زعماء حركة اليسار الديمقراطي وقرنة شهوان بشكل خاص على خطوط الاتصال مفتوحة، وقاموا بعقد لقاءات وندوات ومناقشات في المناطق ذات الأغلبية الشيعية[183]. وبالمثل وفرت وسائل الإعلام الموالية للمعارضة منابر للكُتّاب الشيعة[184].

- طمأنة حزب ا على مستقبله. وقد جادل أعضاء المعارضة أنهم في موقف أفضل لتزويد حزب ا "بغطاء لبناني" شرعي مقبول دولياً ضد مطالب نزع سلاحه[185]. الواقع أن البعض يجادلون أن في وسعهم توفير حماية أفضل للحزب من سوريا: ففي حين قد تختار دمشق أن "تبيع" حزب ا ضماناً لمصالحها الخاصة، "أما نحن فسوف نحمي حزب ا من خلال الوحدة الوطنية. فالعدوان الإسرائيلي ليس ضد حزب ا وحده، بل ضد لبنان كله[186]. وسعوا بهذا إلى النأي بأنفسهم عن التوصيف الأمريكي لحزب ا على أنه "منظمة إرهابية". الحقيقة أن الحريري قد سعى قبل وفاته مع الرئيس شيراك

[182] مقابلة كرايسز جروب، بيروت 4 شباط (فبراير) 2005.

[183] شرح أحد الطلاب الناشطين من المعارضة: "لقد بدأنا نعمل على المستوى الشعبي مع شبان شيعة في الجنوب حتى قبل مقتل الحريري. ونظمنا مناقشات في النبطية حيث خاطب إلياس عطا ا (زعيم حركة اليسار الديمقراطي) وفارس سويد (أحد زعماء قرنة شهوان) جمهوراً غفيراً مكون في معظمه من الشيعة". مقابلة كرايسز جروب بيروت 1 شباط (فبراير) 2005. وشارك سيمون كرم (أحد زعماء المعارضة المارونية الذين لديهم اتصالات مع حزب ا) في نقاش مع مثقفين شيعة حول مسألة "ما الذي سنفعله بعد خروج السوريين؟"، مقابلة كرايسز جروب مع سيمون كرم، بيروت، 4 آذار (مارس) 2005.

[184] نشرة ملحق النهار الثقافي سلسلة من المساهمات المتعلقة بالمعارضة ومطالبها، بما في ذلك الانسحاب السوري. وكان ثمانية من أصل 10 من الكتّاب من الشيعة، ملحق النهار، 27 شباط (فبراير) 2005.

[185] مقابلات كرايسز جروب، بيروت، آذار (مارس) 2005.

[186] مقابلة كرايسز جروب مع عضو في المعارضة من حركة اليسار الديمقراطي اللبنانية، بيروت 1 آذار (مارس) 2005.

في هذا الأمر، مؤكداً أن ضم حزب ا إلى قائمة الإرهاب سيعقد الموقف بشكل كبير[187]. وأوضحت المعارضة أن نزع سلاح حزب ا ليس على أجندتها، وحين يحصل ذلك، فسوف يكون قضية محلية بحتة تحل بشكل سلمي بحوار يشمل جميع اللبنانيين. وأجرى أعضاء المعارضة لقاءات عدة مع قيادة حزب ا لطمأنته من هذه الناحية. وفي خطاب خلال مهرجان شعبي لحزب ا يوم 8 آذار (مارس)، قال مستشار للمعارضة:

> يقترب حزب ا من عقد اتفاق مع المعارضة. خياراتهم تضيق كل يوم. وحزب ا عالق بين ثلاث مقولات متباينة. أولاً منطق القرار 1559 الذي يقول "انزع سلاحك الآن تحت ضغط دولي"، والثاني هو منطق الوضع السوري، والذي يخاطر في أن يصبح غير ذي أهمية، أو أن يزداد سوءاً، وينقلب 180 درجة إذا قررت دمشق التضحية بالحزب كثمن لصفقة مع الولايات المتحدة. والثالث هو منطق موقفنا: الحوار الوطني والاستعداد لإبلاغ واشنطن بأن عليها ترك مستقبل المقاومة كقضية داخلية لبنانية. ولو كنت مكان حزب ا ، لفكرت في أن عرضنا هو الأفضل[188].

- بالنظر للدور البارز الذي يلعبه جنبلاط، وجزئياً لتخفيف المخاوف من تجدد السيطرة المارونية، لعبت العناصر المارونية عن عمد دوراً ثانوياً، بأن سمحت للزعيم الدرزي بأن يصبح الناطق الأبرز باسم المعارضة[189]. رغم فزع الكثيرين من الموارنة الذين يخشون أن يستخدم جنبلاط منبر المعارضة لدعم مصالحه الخاصة[190].

[187] مقابلة كرايسز جروب مع مراقبين لبنانيين ومسؤولين فرنسيين، آذار (مارس) 2005.

[188] مقابلة كرايسز جروب، بيروت 4 آذار (مارس) 2005.

[189] مقابلة كرايسز جروب مع عضو من قرنة شهوان، بيروت 4 آذار (مارس) 2005.

[190] مقابلة كرايسز جروب مع ناشط من أصحاب عون، بيروت 7 آذار (مارس) 2005.

سعت المعارضة أيضاً لأخذ الحساسيات الشيعية بعين الاعتبار في بعض المسائل الرمزية. فقد ناشد حزب جنبلاط الاشتراكي التقدمي المتظاهرين تخفيف "لهجتهم الانتصارية" واستخدام الرايات الوطنية اللبنانية فقط بدل الأعلام الحزبية التي قد تعيد إلى الأذهان ذكريات الحرب الأهلية الأليمة[191]. وبناء على ما سبق يشتم مسؤول فرنسي إمكانية التوصل إلى تسوية بين حزب ا والمعارضة بناء على أن يقوم الأول بدعم انسحاب سوريا، وتقليل النفوذ السوري (وليس القضاء عليه نهائياً) والقبول برقابة دولية على الانتخابات، في حين تتعهد المعارضة بعدم نزع سلاح الحركة أو التوصل إلى اتفاق سلام منفصل مع إسرائيل[192].

مواقف المعارضة المعتدلة والنهج الشامل للقضايا التي تهم الطائفة الشيعية وحزب ا بشكل خاص لم تمر دون أن يلحظها أحد، رغم بقاء المخاوف الكامنة. وقد اعترف رجل دين شيعي بارز بأن المعارضة تكبح نفسها الآن. فقد قلبت موقفها وعادت لاتفاق الطائف وهي حريصة على طمأنة حزب ا . لكني أتساءل إن كان الكثيرون من الشيعة العاديين قد لاحظوا هذا التحول أو إن كان هذا الأمر قد أزال مخاوفهم"[193].

من جانب حزب ا ، كان رد الفعل متحفظاً. لا شك أنه رحب بإشارات المعارضة أن نزع السلاح ليس على أجندتها الحالية، رغم الضغوط الخارجية[194]. لكن احتمالات المستقبل كانت أقل طمأنة بكثير. فمن المنطقي أن تشكك قادة حزب ا في استمرارية موقف المعارضة مستقبلاً، خاصة بعد انسحاب سوريا وسيطرة المعارضة ومضاعفة الضغط الأجنبي (المسيطر عليه حالياً)[195]. لذلك فإن حزب ا لا يثق كثيراً "بالغطاء اللبناني" الموعود، أو الحوار الوطني السلمي كضمان ضد التدخل الخارجي. ورغم تأكيدات جنبلاط بأن حدوث تغيير هو أمر غير محتمل[196]، فإن تعليقات من أشخاص مثل ميشيل عون، والبطريرك صفير، وأمين الجميل التي تتحدث عن ضرورة نزع سلاح حزب ا توحي بأن موقف المعارضة المتّحدة سيخضع على الأغلب للضغوط[197].

باختصار فإن موقف الأسرة الدولية وليس سلوك المعارضة هو الذي سيصيغ أعمال حزب ا خلال هذه المرحلة الانتقالية الدقيقة. وكما سبق وناقشنا، فقد وضعت فرنسا (كما يمكن أن نتوقع) الولايات المتحدة (الأمر الذي لا غرابة فيه) قضية مستقبل حزب ا على النار، رغم اختلاف اللهجة واختلاف درجات الاقتناع. ففي حين يبدو أن باريس مقتنعة بضرورة دمج حزب ا (وبالتالي الطائفة الشيعية) في المعادلة السياسية بشكل أكمل، ولهذه الغاية تقدم تطمينات حول مستقبلها، فإن واشنطن توازن تركيزها على لبنان مع حملتها الأوسع المضادة للإرهاب، مما يقود إلى إطلاق رسائل متضاربة[198].

---

[191] "خاصة بعد سقوط حكومة كرامي لا نريد الانخراط في سلوكيات استفزازية. ودعا جنبلاط إلى وضع حد فوري لهذا. ودعا بقوة إلى ضبط العواطف. والأمر الأهم، احتوينا وأدنّا الأحاديث العنصرية المناهضة لسوريا. بهدف عدم إغضاب من لا زالوا يتعاطفون مع السوريين، سواء لدى الطائفة الشيعية أو غيرها". مقابلة كرايسز جروب مع زعيم حركة اليسار الديمقراطي، بيروت 1 آذار (مارس) 2005. وفي مسعى مماثل وقف سمير قصير على منبر في ساحة الشهداء لقراءة بيان للمثقفين السوريين يدعم المعارضة اللبنانية. "بعض الحاضرين أطلقوا صرخات الاستهجان. لكن بعض أنصار عون ردوا بشكل لائق. الأمر يتعلق بالديمقراطية، ويجب ألا تكون حركة المعارضة عنصرية". مقابلة كرايسز جروب مع سمير قصير، 1 آذار (مارس) 2005.

[192] مقابلة كرايسز جروب، باريس، آذار (مارس) 2005.

[193] مقابلة كرايسز جروب، بيروت، 3 آذار (مارس) 2005.

[194] كتبت أسبوعية حزب ا في تعليق لها: "يبدو أن أطراف المعارضة تلح على فصل وجهات نظرها وأعمالها عن... المسار الذي اتخذته الولايات المتحدة ورفض ربط مطالبها بضغوط الولايات المتحدة وسياساتها تجاه لبنان والمنطقة. "الانتقاد" 7 آذار (مارس) 2005.

[195] بعض قادة حزب ا "ينظرون إلى تأكيدات المعارضة بتوفير (حماية لبنانية) بأنها مجرد (كلام جرايد) ليس لها نتائج حقيقية مقابلة" كرايسز جروب مع صحفي لبناني، بيروت 2 آذار (مارس) 2005.

[196] أطلق جنبلاط هذه التعليقات بعد مقابلة زعيم حزب ا نصر ا ، تلفزيون المنار 29 آذار (مارس) 2005.

[197] ورد في النهار، 19 آذار (مارس) 2005، دعا الجميل إلى نزع سلاح حزب ا على الفور بعد الانتخابات. الديلي ستار، 31 آذار (مارس) 2005. وشرح عضو في قرنة شهوان هذه الدعوات بالإشارة إلى أن حزب ا "ليس جاداً في مسألة إجراء حوار حقيقي حول القضايا الرئيسية. وبدلاً من ذلك يقومون بالتظاهر ويستخدمون أساليب الطائفية. وقد أجبنا بأن قلنا لهم أن قضية أسلحتهم مطروحة على بساط البحث وحتى الآن قبلنا لعبة إسباغ الشرعية على المقاومة لكنهم يواصلون رفض إجراء حوار". مقابلة كرايسز جروب، بيروت، 3 نيسان (أبريل) 2005.

[198] بين مسؤولون أمريكيون أنهم قد يقبلوا حزب ا منزوع السلاح كحزب سياسي في لبنان. نيويورك تايمز 10 آذار (مارس) 2005. وفسر المبعوث الأمريكي دافيد ساترفيلد الأمر بالقول "مصدر قلقنا هو اشتراك حزب ا عالمياً وإقليمياً – في العنف والإرهاب. هذا هو مصدر قلقنا، وليس حزب ا كقوة

وتلعب ضغوط الكونجرس، ومسؤولين أكثر تشدداً في الإدارة الأمريكية والجماعات المؤيدة لإسرائيل دوراً مهماً[199].

ينتاب العديدون في المعارضة القلق من تأثير تناقض الولايات المتحدة على حسابات حزب ا ، ويتمنون رؤية مؤشرات أوضح بحيث لا تقوم واشنطن بصب جام غضبها على المنظمة بعد خروج سوريا. ومن وجهة نظرهم، فإن الأولوية يجب أن تكون لضمان أن يلعب حزب ا دوراً بنّاء خلال المرحلة الانتقالية، بحيث يرى مستقبله في التكامل داخل النظام السياسي وليس في ارتباطه بسوريا، وأن يمتنع عن القيام بأنشطة عنيفة على الحدود مع إسرائيل، مع إبقاء قضية نزع السلاح أو الدمج في الجيش اللبناني لموعد مستقبلي وللبنانيين[200]. وكما يرى عضو في المعارضة له علاقات مع حزب ا ، "فإن في وسع الحركة لعب دور حيوي إذا اجتذبت للعملية: فهي قادرة على إخراج سوريا بسلام، والحفاظ على الوحدة الوطنية اللبنانية، وتوفير نوع من الحماية ضد إسرائيل[201].

على المدى الطويل، يتعين اتخاذ خطوات تتفق مع الطائف والقرار 1559 لتحويل حزب ا تدريجياً، ليصبح منظمة سياسية غير مسلحة. وفي هذا السياق نشر بعض أعضاء المعارضة فكرة انسحاب إسرائيل من مزارع شبعا بعد انسحاب سوريا وإجراء انتخابات حرة وعادلة، كوسيلة لممارسة المزيد من الضغط على حزب ا والتخلّي عن أي عذر للمقاومة[202]. وحسب كلمات رجل دين شيعي:

> إذا خرج الإسرائيليون من شبعا فسوف يكون ذلك نهاية المقاومة. وسوف يقبل ذلك أي شيعي وأي لبناني. فما هي الخيارات التي ستتبقى لحزب ا ؟ فإما أن يوقف عملياته أو أن يصر على تحرير القدس. ولا أعتقد أنه سيتمتع بدعم شعبي كبير للهدف الأخير. فتلك ليست مسئوليتنا. وسوف أقول لا علناً"[203].

ويشير نعيم قاسم، الأمين العام المساعد لحزب ا إلى أن نزع سلاح المنظمة أو دمجها في الجيش النظامي اللبناني يمكن مناقشته بعد انسحاب إسرائيل من مزارع شبعا[204]. وتمت مناقشة بعض الاقتراحات المحدودة فيما يلي.

سياسية في لبنان" واشنطن بوست، 18 آذار (مارس) 2005. وفي الوقت نفسه، أنكر مسؤول أمريكي بقوة التقارير عن سياسة "تراخي" تجاه حزب ا ، "ما زلنا نعتبره منظمة إرهابية ونعامله على هذا "الأساس". مقابلة كرايسز جروب، واشنطن، آذار (مارس) 2005. وفي ملاحظة لاحقة قال ساترفيلد أن حزب ا مع سوريا وإيران يجب أن يتوقفوا عن التدخل في الشؤون الداخلية اللبنانية، والتي نظر إليها على أنها تلغي بياناته السابقة التي لاقت ترحيبا أكبر. وقد رفضها حزب ا بشدة، والذي أشار إلى تدخل واشنطن الوقح في الشؤون اللبنانية". مقابلات كرايسز جروب مع الناطق بلسان حزب ا حسين النابلسي، بيروت 1 نيسان (أبريل) 2005، ومع مراقبين وصحفيين لبنانيين، آذار (مارس)، و نيسان (أبريل) 2005.

[199] يوم 8 آذار (مارس) 2005 قدم أعضاء مجلس النواب الأمريكي مشروع قانون تحرير سوريا ولبنان، الذي وصف سياسات سوريا بأنها "تهدد الأمن القومي ومصالح الولايات المتحدة والسلام الدولي"، وأنه قد يفرض سلسلة من العقوبات الإضافية على سوريا ويفوض الرئيس بتقديم مساعدات إلى الجماعات "المؤيدة للديمقراطية" في سوريا. قرار المجلس رقم 1141، ولم تتخل إسرائيل عن جهودها لإقناع الاتحاد الأوروبي بإضافة حزب ا إلى قائمته للإرهاب. انظر يديعوت أحرونوت، 11 آذار (مارس) 2005. "تريد إسرائيل من الغرب أن يتعامل مع حزب ا بشكل فوري. وسوف تواصل إسرائيل الضغط على المجتمع الدولي (لكي يصنف حزب ا كمنظمة إرهابية). مقابلة كرايسز جروب مع ليال زيسر الخبير الإسرائيلي بالشؤون السورية، تل أبيب 10 آذار (مارس) 2005. وبعثت أوروبا بإشارات متضاربة حول هذه المسألة. وفي حين أنها قاومت حتى الآن الضغوط الأمريكية والإسرائيلية بالنسبة لقائمة الإرهاب. فقد تبنى البرلمان الأوروبي قراراً غير ملزم يصف حزب ا بأنه منظمة إرهابية. أضف إلى ذلك أن الولايات المتحدة، وإسرائيل، واستراليا، وكندا، والمملكة المتحدة (التي أشارت إلى "فرع الأمن الخارجي" لحزب ا تحديداً)، وفي تشرين الثاني (نوفمبر) 2004، صنفت هولندا (وإن يكن ذلك من دون عواقب حقيقية ما لم يضف الاتحاد الأوروبي حزب ا إلى قائمة الإرهاب) حزب ا كمنظمة إرهابية. مقابلات كرايسز جروب في دمشق وبيروت، تشرين الثاني (نوفمبر) وكانون الأول (ديسمبر) 2004. وقام منظم الإرسال الفرنسي بمنع قناة المنار التابعة لحزب ا في كانون الأول 2005 بعد أن توصل إلى قرار أنها معادية للسامية. وقامت سلطات البث والإرسال الأوروبية مؤخراً بوقف قناة المنار.

[200] مقابلة كرايسز جروب مع عضو في المعارضة. بيروت، 4 آذار (مارس) 2005.

[201] مقابلة كرايسز جروب، آذار (مارس) 2005.

[202] مقابلة كرايسز جروب، بيروت، شباط (فبراير) و آذار (مارس) 2005.

[203] مقابلة كرايسز جروب، بيروت 3 آذار (مارس) 2005.

[204] قال "سوف نناقش سلاح (حزب ا) بعد شبعا بشرط وجود بديل ذي مصداقية لحماية لبنان". وأشار تحديداً إلى فكرة أن يصبح نوعاً من جيش احتياط يعمل مع السلطات اللبنانية. وأضاف، "الجيش الاحتياطي لا يعني أن المقاومة قد أصبحت جزءاً من الجيش بل هي صيغة للتنسيق مع الجيش أنها مقاومة باسم آخر". فايننشال تايمز، 7 نيسان (أبريل) 2005. ورداً على ذلك دعا زعيم حزب ياحاد اليساري الإسرائيلي، يوسي بيلين رئيس الوزراء

3- محاولة فهم السياسات السورية

أحد أكثر الجوانب إثارة للحيرة في هذه الأزمة هي المدى الذي يبدو أن النظام في دمشق قد أساء قراءة الموقف فيه وتكرار ارتكابه للهفوات التي لم تؤدي إلا لزيادة عزلته. فبعد يومين من اغتيال الحريري، على سبيل المثال، ألمح صحفي سوري إلى أن النظام "يبدو وكأنه يعتقد بأن شيئاً غير عادي لم يحدث. فصحف الدولة السورية تتحدث عن الجريمة وكأنها حدثت في مكان ناء وسط آسيا"[205]. وربما كان هذا المثال أفضل ما يلخص الفارق بين القيادة الحالية وقيادة حافظ الأسد – والتي لا تقل عن النظام الحالي من ناحية عدم المرونة، لكن كانت لديها قدرة فريدة على قياس أعمالها وتعرف إلى أي مدى يمكن أن تذهب- قال صحفي سوري آخر: "بشار يفعل ما كان يقوله أبوه، ليس ما كان يفعله"[206].

سياسات إدارة بوش أقل مرونة بكثير، وأقل انفتاحاً على الحلول الوسط من السياسات التي واجهها الأسد الأب، وهو ما يفسر الوضع جزئياً. ومع ذلك، وحتى لو أخذنا هذا الأمر بعين الاعتبار، فإن سلوك النظام السوري المرتبك غالباً – من التردد في بعض الأحيان، والرافض غالباً، وردود الفعل على الضغوط الأجنبية، وتجاهل الحلفاء القدامى، إلى تبجح البلاغات الرسمية --وتوازنها الدائم على حافة الهاوية[207]-- يتطلب المزيد من التوضيح. وقد قدم العديد من التفسيرات المختلفة التي تبدو غير متناسقة لكنها تكمل بعضها البعض إلى حد بعيد.

أ. عدم قراءة الوضع بشكل جيد: "الزمن سيثبت أننا على صواب"

المسؤولون السوريون الذين قابلتهم كرايسز جروب خلال الأشهر الماضية تنبأوا بثقة، أنه في النهاية، ستتسبب التطورات الإقليمية – التمرد في العراق، وسياسات رئيس الوزراء شارون، والخوف من تصاعد التطرف الإسلامي- في إعادة تقييم الولايات المتحدة لسياساتها تجاه المنطقة[208]. سواء دفع ذلك "بالجهل بمشاعر وتطلعات العرب والمسلمين" أو بمؤامرة مدبرة "من المحافظين الجدد للتسبب بفوضى في المنطقة تسقط في نهاية الأمر جميع الأنظمة العربية"[209]. ويقال بأن سياسة واشنطن "الموالية لإسرائيل والمعادية للعرب على الدوام"[210]، تعمل ضد مصالحها، "وتشيد ورشة ضخمة للإرهاب العالمي"[211]. وذلك سيثبت في النهاية أنه "لا يمكن الاستمرار فيها"[212]. ومع قيام السياسة الأمريكية بدفع المشاعر الشعبية في المنطقة نحو التطرف، وانهيار مشاريعها في العراق وفلسطين، فإن الإدارة ستكتشف ضرورة التعامل مع النظام البعثي وأن تطلب مساعدته أيضاً. "وإذا رفضوا التعامل مع حكومة بشار الأسد، فإن البديل سيكون القاعدة، والجهاديين، والإسلاميين بشكل عام"[213].

بموجب وجهة النظر هذه، فإن الوضع الإقليمي يقيد إلى حد بعيد مجال المناورة أمام واشنطن. وحيث أنه ينظر إليها بأنها قد بالغت في التمدد سياسياً وعسكرياً، فهي غير قادرة الآن على فتح جبهة أخرى. "الولايات المتحدة لا تستطيع فعل ما تتمناه بخصوص سوريا. فهذه لعبة معقدة"[214]. كما أنه لا الولايات المتحدة أو الغرب

شارون إلى الانسحاب من شبعا لوضع حزب ا موضع الاختيار. هآرتس 8 نيسان (أبريل) 2005.

[205] مقابلة كرايسز جروب الهاتفية، 16 شباط (فبراير) 2005.

[206] مقابلة كرايسز جروب الهاتفية، آذار (مارس) 2005.

[207] مقابلة كرايسز جروب مع صحفي لبناني، بيروت 4 شباط (فبراير) 2005.

[208] مقابلة كرايسز جروب مع مسؤولين سوريين في دمشق، تشرين الثاني (نوفمبر) 2004، و شباط (فبراير) 2005.

[209] مقابلة كرايسز جروب مع عماد الشعيبي، مستشار السياسة الخارجية للرئيس بشار الأسد، دمشق، تشرين الثاني (نوفمبر) 2004.

[210] مقابلة كرايسز جروب مع دبلوماسي ومستشار سوري للسياسة الخارجية في دمشق، كانون الثاني 2004.

[211] مقابلة كرايسز جروب مع محمد حبش (برلماني سوري) في دمشق، تشرين الثاني (نوفمبر) 2004.

[212] مقابلة كرايسز جروب مع دبلوماسي ومستشار للسياسة الخارجية سوري في دمشق، كانون الأول 2004. وحسب قول بثية شعبان، وزيرة شؤون الهجرة والناطقة باسم وزارة الخارجية سابقاً، فإن الرأي العام العربي سيلعب دوراً رئيسياً بهذا الصدد. "إذا أجريتم استطلاعاً حقيقياً بين العرب وسألتهم عن رأيهم في الولايات المتحدة، فسوف تجدون أن معظم الناس يرون أن هناك فجوة ضخمة بين سياستها المعلنة وما تفعله"، مقابلة كرايسز جروب، دمشق، كانون الأول 2004.

[213] مقابلة كرايسز جروب، مع عماد الشعيبي، دمشق، تشرين الأول (أكتوبر) 2004.

[214] مقابلة كرايسز جروب مع دبلوماسي ومستشار سوري للسياسة الخارجية، دمشق، كانون الأول 2004. وفي الوقت نفسه لم يبد المسؤولون أو رجال الأعمال السوريون اهتماماً كبيراً بتأثير عقوبات الولايات المتحدة. "تأثيرها أشد مما اعتقدنا في البداية. لكنها لا تنذر بالخطر لأن ارتفاع أسعار النفط وتنامي

بشكل عام يعتقدان أن لديهما القوة اللازمة للبقاء في منطقة تطلب صبراً وليس قوة فقط كي تسود، ويتم الحديث عن هذا الأمر بقناعة خاصة حين يتعلق الأمر بلبنان. الحجة هي أن المعارضة اللبنانية والفعاليات الدولية التي تدعمها:

> ...سيثبت أنها على خطأ، ففي النهاية نحن نمتلك النفوذ الحقيقي في لبنان. فنحن نحد البلاد، ونتقاسم الموارد، وثمة أشخاص يعبرون الحدود، ولدينا علاقات تجارية. المعارضة اللبنانية لا تفهم هذا الأمر: حين تغادر جميع القوى الأجنبية المنطقة أو تفقد اهتمامها بها، سنبقى نحن. لدينا استراتيجية جغرافية، وليس استراتيجية سياسية عابرة مثل الولايات المتحدة وفرنسا[215].

كون النظام السوري يعتمد على تحول في المد الاستراتيجي تبينه بشكل أوضح الجهود المذكورة أعلاه، لصياغة تحالفات جديدة وسيلة لمواجهة الولايات المتحدة -- محاولة إظهار عدم وجود إجماع دولي خلف نهج واشنطن كخطوة أولى نحو تغييره.

حتى القيادة الفرنسية فشلت في إعطاء انطباع قوي بالنسبة للقرار 1559. وتصرفت دمشق وكأن القرار مجرد تحذير وليس للتنفيذ[216]، وكأنها تعتقد بأن عداء الرئيس شيراك كان بدافع الضرر المادي (تهميش صديقه والمحسن إليه الحريري، وصفقة الغاز التي أحبطت) ويمكن التخفيف من وقعه بمكافأة مادية[217].

ب. قراءة الوضع بشكل جيد جداً: "لماذا التنازل وهم يريدون إخراجنا؟"

غداة اغتيال الحريري، ألمح مراقب لبناني حسن الاطلاع، قائلاً: "كنت أعتقد أن النظام السوري لم يفهم الوضع بشكل جيد. الآن بدأت اعتقد أنهم فهموه جيداً"[218]. كانت دمشق أبعد من أن تكون قد أساءت تقدير خطورة مقاصد الولايات المتحدة، لأنها فهمتها منذ البداية وأدركت أن الهدف النهائي هو إما التخلي عن الأمر كلية أو تغيير النظام واستنتجت أن ليس أمامها سوى القليل مما تستطيع فعله. هذا التقييم لأهداف واشنطن منتشر بين المراقبين اللبنانيين والسوريين، بما في ذلك مؤيدي ومنتقدي النظام السوري[219].

من هذه الناحية، فإن المطالب المتعلقة بالعملية السلمية، والعراق ولبنان هي مجرد ذرائع، تستخدم كأدوات لإضعاف النظام، والتسبب في انهياره. اهتمام واشنطن المفاجئ بلبنان، الذي جاء بعد سنوات من الإهمال، يدعم دون شك وجهة النظر هذه، كما نظر إليه على أنه وسيلة لتجريد سوريا من واحد من آخر أرصدتها الاستراتيجية المتبقية[220]. وكانت النتيجة التشبث بالموقف، حتى في أوساط المسؤولين ذوي العقلية الإصلاحية الذين بدا لهم أن نهجاً تصالحياً بات يتخذ شكل نزع السلاح من جانب واحد. وحسب قول مستشار حكومي سوري، "لماذا نقدم تنازلات بينما الولايات المتحدة ترفع راية تغيير النظام؟"[221]. وبدلاً من ذلك صارت الأولوية التمسك بما تبقى من أوراق. وأشار للأمر صراحة مسؤول سوري في خطاب له قبل اغتيال الحريري، قال:

> إذا كانت الولايات المتحدة تريد المشاكل، تستطيع الحصول عليها. يمكنها استعادة 600 ألف فلسطيني موجودين في سوريا - كلهم إرهابيون إن شئت. إذا أجبرنا على الانسحاب من لبنان، فسوف تحصلوا على ما تريدون: قنابل في بيروت، وقتال بين أمل وحزب ا ، وجهاديين في عكار، وفلسطينيين في جنوب لبنان.

التجارة مع العراق يخفف من وقعها. مقابلة كرايسز جروب مع اقتصادي سوري، دمشق، 1 كانون الأول 2004.

[215] مقابلة كرايسز جروب مع عماد الشعيبي، دمشق، تشرين الأول (أكتوبر) 2004.

[216] أكد مراقبون سوريون ودبلوماسيون غربيون عدم الاهتمام الأولي الواضح بالقرار 1559. مقابلات كرايسز جروب في دمشق، كانون الأول 2004 و شباط (فبراير) 2005.

[217] ذكر أن ماهر الأسد، شقيق الرئيس زار باريس في أوائل تشرين الأول (أكتوبر) 2004 لتقديم صفقات نفط وتجارة مربحة. مقابلة كرايسز جروب مع دبلوماسي أوروبي، دمشق، تشرين الثاني (نوفمبر) 2004. انظر أيضاً "أخبار الشرق"، 18 تشرين الأول (أكتوبر) 2004.

[218] مقابلة مع كرايسز جروب بالهاتف، شباط (فبراير) 2005.

[219] حسب كلمات الناشط السوري لحقوق الإنسان هيثم المالح "الجيش الأمريكي يحيط بنا من كل مكان. في أفغانستان والعراق والخليج وهذا يعرضنا لخطر عظيم. ثمة قوة عظمية هناك لا حدود لما تستطيع فعله. وتبدو مصممة على التخلص من النظام السوري. وتلك هي المشكلة الحقيقية، وليس سوريا أو النظام السوري". مقابلة كرايسز جروب في دمشق، 3 شباط (فبراير) 2005.

[220] مقابلة كرايسز جروب مع ناشطين سياسيين وصحفيين سوريين، تشرين الثاني(نوفمبر)-كانون الأول(ديسمبر) 2004.

[221] مقابلة كرايسز جروب، دمشق، كانون الأول (ديسمبر) 2004.

وسوف تتوتر أعصاب اللبنانيين، وسوف يكون لديكم وصفة للحرب الأهلية[222].

مع تصور وجود تهديد بتغيير النظام في الأفق، رد النظام في البداية بتشديد قبضته على الوضع الداخلي. وفي أيلول (سبتمبر) 2004، اعتقل نبيل فياض زعيم التجمع الليبرالي الذي أسس حديثاً[223]. واعتقلت قوات الأمن الناشطين الأكراد، خاصة الطلاب، وتراجع النظام عن تعهده بمنح الجنسية لحوالي 200 ألف كردي من دون هوية[224]. وبالمثل منع الدبلوماسيون الغربيون من حضور المحاكمات السياسية في محاكم أمن الدولة[225]. وحسب قول ناشط سوري معارض، "تشدد سياسات النظام السوري هي نتيجة مباشرة لتوقع أن الولايات المتحدة تريد التخلص منه في النهاية. ووجد بشار أرضية مشتركة مع متشددي النظام الذين يريدون لسوريا أن تتمسك بما لديها من أوراق"[226]. قبل أسبوعين من اغتيال الحريري، أشار دبلوماسي في بيروت: "ثمة خطر من وضع السوريين تحت هذا الضغط الكبير، فقد يبدءوا في الشعور مثل قطة حشرت في زاوية، وأن يتصرفوا مثلها"[227].

[222] مقابلة كرايسز جروب، دمشق، تشرين الثاني (نوفمبر) 2004.

[223] اعتقل فياض يوم 30 أيلول (سبتمبر) 2004 وسجن لمدة شهر. وذكر أنه أثار غضب السلطات بعد انتقاده لنائب الرئيس السوري عبد الحليم خدام لامتداحه الحركات الإسلامية في المنطقة. وكان فياض قد جهر بالحديث في مناسبات عدة ضد مغازلة النظام السوري للإسلاميين وكان يترأس التجمع الليبرالي، الذي حظر في أيلول (سبتمبر) 2004. لمطالعة كتاباته انظر: .http://www.nabilfayyad. com/

[224] جاء وعد النظام بعد اضطرابات في منطقة الحسكة ذات الأغلبية الكردية ومدن شمالية أخرى في آذار (مارس) 2004. وكان مصطفى طلاس وزير الدفاع قد قال في أيار (مايو) 2004 أن الرئيس الأسد قد أمر بالإعداد لقانون جديد لمنح الجنسية للأكراد الذين لا يحملونها. انظر مقابلة مع الحياة، 21 أيار (مايو) 2004. وأخبر برلماني سوري كرايسز جروب "قبل خمسة أو ستة أشهر كنا ندعو إلى منح الجنسية، وأعتقد أن لهم الحق في ذلك. لكني لست متخذ قرار، ولا أغير القوانين"، مقابلة كرايسز جروب مع محمد حبش في دمشق، تشرين الثاني (نوفمبر) 2004.

[225] مقابلة كرايسز جروب مع دبلوماسي غربي في دمشق، 1 كانون الأول (ديسمبر) 2004.

[226] مقابلة كرايسز جروب مع ناشط سوري معارض، دمشق 24 تشرين الأول (أكتوبر) 2004.

[227] مقابلة كرايسز جروب، بيروت 21 كانون الثاني (يناير) 2005.

ج- تشرذم النظام

سياسة سوريا المشوشة والتي هزمت نفسها بنفسها في لبنان أعطت مصداقية إضافية لنموذج تفسيري ثالث، هو زيادة تشرذم النظام مقروناً بتضييق قاعدة سلطة بشار تجاه أفراد عائلته وحاشيته. فلبنان الذي طالما كان المسرح البديل للنزاعات العربية-الإسرائيلية، والعربية-العربية، والفلسطينية-الفلسطينية، يبدو وكأنه قد أصبح ميداناً للصراعات السورية-السورية على السلطة والتي أخذت تبرز الآن. خلال العقود الثلاثة الأخيرة بنى المسؤولون السوريون والسياسيون اللبنانيون علاقات عمل وثيقة وفي بعض الأحيان مفيدة مالياً تضمن استمرار الهيمنة السورية. وبينما عمل المسؤولون السوريون على حجز حصتهم الخاصة الكبيرة من الربح، فقد قاموا أيضاً بتوزيع الإقطاعيات الاقتصادية والوزارات المربحة لحلفائهم اللبنانيين، مستثمرين المسارح اللبنانية السياسية، والأمنية والاقتصادية على نطاق واسع.

لكن في حين كانت الحياة السياسية والاقتصادية اللبنانية متأثرة بذلك بشدة، فقد تأثرت الحياة السورية أيضاً. بعض كبار شخصيات النظام السوري –بما في ذلك نائب الرئيس السوري عبد الحليم خدام (وهو سني اكتسب سمعته بأنه صانع الملوك في لبنان منذ العام 1975، وكان قريباً من الحريري)، والعماد حكمت الشهابي (وهو سني له علاقات وثيقة مع الزعيم الدرزي وليد جنبلاط)، وغازي كنعان (وهو علوي كان يشرف على العلاقات السورية-اللبنانية في لبنان منذ عقد الثمانينات بوصفه رئيس الاستخبارات السورية)-- مارست نفوذاً واسعاً وتمتعت بمنافع جمة. وبالنسبة للمراقبين السوريين، لم تكن صدفة أن حافظ الأسد قد برمج صعود ابنه إلى السلطة بأن سلمه ملف لبنان في العام 1998 وفي الوقت نفسه نحى جانباً خدام والشهابي[228]. وليس مفاجئاً أيضاً أن يسعى بشار، في محاولة لتعزيز سلطته، إلى إعادة تشكيل بنية السلطة في سوريا وروابط السلطة والنفوذ التي أنشئت في لبنان. وقد كان بشار وحلفائه على قناعة بأن أعضاء ما يعرف بالحرس القديم "يستخدمون اتصالاتهم في لبنان لعقد صفقات عمل مربحة ومن ثم استخدام الأرباح لشراء الولاء والنفوذ في سوريا"[229].

[228] مقابلات كرايسز جروب، دمشق، تشرين الأول (أكتوبر) 2004، وكانون الثاني (يناير) 2005.

[229] مقابلة كرايسز جروب مع مستشار للحكومة السورية، دمشق، شباط (فبراير) 2005.

ربما كان القصد في البداية تقليل مقاومة البعثيين المخضرمين للإصلاح الداخلي[230]. لكن ما أن تكشفت الأحداث المحلية والإقليمية حتى أصبح من الواضح أن الهدف هو تقوية قبضة الدوائر الداخلية لبشار والقائمة على روابط عائلية وطائفية[231]. وقد ذكر أن عدداً من كبار المسؤولين في قطاعي الجيش والاستخبارات قد أجبروا على التقاعد، وتم استبدالهم بضباط علويين أصغر سناً"[232].

وفي لبنان انتهى صراع القوى بين رئيس الوزراء في ذلك الحين رفيق الحريري (الذي عمل بشكل وثيق مع بعض عناصر النظام البعثي طيلة عقود) والرئيس إميل لحود، أحد الحلفاء المقربين لبشار وتحت ستار "مركزة وعقلنة" العلاقات السورية-اللبنانية، كان لحود في الواقع يسعى إلى استبدال حلقة الوصل المباشرة ما بين مكتبه والرئاسة السورية بخليط من الحلقات الفردية التي نشأت بمرور الوقت. ويذهب بعض المراقبين إلى ما هو أبعد من ذلك بالقول، أنه في أواخر عقد التسعينات، وفي أثناء الإعداد لعملية الخلافة، سعت سوريا إلى "إقامة نظام يشبه نظامها مع أخذ الخصوصيات اللبنانية بعين الاعتبار، بتنصيب عسكري رئيساً للدولة وإعطاء دور أكبر لأجهزة الاستخبارات"[233].

كانت الخطوة التالية تشكيل مجلس وزراء في بيروت في تشرين الأول 2004 مكونة بشكل أساسي من سياسيين غير معروفين كثيراً من حلفاء لحود المقربين مما أضر بالموالين للحريري وجنبلاط. وفي خطابه أمام البرلمان السوري يوم 5 آذار (مارس) 2005، بعد اغتيال الحريري، وضع التفسير التالي لتحركه:

> بالطبع استغل البعض وجود القوات السورية لأغراض مادية أو انتخابية ضيقة، مما تسبب في عدد من السلبيات. البعض ادعى أنه حليف لسوريا واستغل علاقته مع سوريا لتحقيق مصالح خاصة. بعض اللبنانيين اعتادوا أن يسموا هؤلاء تجار السياسة. وقد كانوا تجار سياسة. اعتادوا بيع وشراء المناصب، وكانوا ينتقلون من منصب لآخر، ومعظمهم معروف لكم[234].

الحريري الذي تولى منصب رئيس الوزراء لمدة 10 سنوات من أصل 12 سنة هي الفترة من عام 1992 وحتى الآن، كان القوة المحركة خلف إعادة بناء وسط بيروت، وكان يتمتع بمكانة إقليمية ودولية لا تضاهى ويُبدي استقلالاً أكبر تجاه سوريا، مع عدد من الوزراء والمسؤولين السابقين. وأصبح هدف حملة غير مسبوقة لمحاربة الفساد شنها الرئيس[235]. وكان استبدال غازي كنعان رئيس الاستخبارات السورية في لبنان في تشرين الأول 2002 خطوة

---

[230] مؤخراً، فقدت فكرة أن بشار الأسد مصلح محبط الكثير من قوتها، لكن هناك بعض المؤشرات أنه كان يسعى بالتدريج إلى وضع مسؤولين ذوي عقلية عصرية في مواقع النفوذ. مثال ذلك، أنه عين عبد ا دردري، وهو تكنوقراطي ذو عقلية إصلاحية كرئيس لمجلس تخطيط الدولية في نهاية العام 2003، وناقد لوسائل الإعلام الرسمية للنظام هو مهدي دخل ا كوزير للإعلام في تشرين الأول (أكتوبر) 2004. ويقال أيضاً أن بشار قد سعى للحصول على نتائج سريعة للمفاوضات الأوروبية-المتوسطية مع الاتحاد الأوروبي، والتي قاومها بعض عناصر النظام خوفاً من الإصلاحات اللاحقة.

[231] يجادل بعض المحللين أن تنامي الدور الذي تلعبه الطائفية في العراق بعد الحرب زادت قلق النظام السوري من احتمال قيام اضطرابات سنية وكردية وزادت التوجه نحو الاعتماد على دائرة صغيرة من العلويين الموالين. مقابلات كرايسز جروب، بيروت، شباط (فبراير) 2005.

[232] حسب قول أكاديمي سوري مقرب من النظام، كان الهدف استبدال المخضرمين بمسؤولين جدد أصغر سناً "يدينون بمناصبهم لبشار مباشرة". مقابلة كرايسز جروب، دمشق، كانون الأول 2004. غازي كنعان، الذي استدعي من لبنان ثم أصبح وزيراً للداخلية في أيلول (سبتمبر) 2004، بقي في مركز قوي (بفضل انتسابه لعشيرة علوية بارزة)، وذكر أنه واصل عمله كمسؤول عن إعادة التنظيم. ومن بين عمليات النخبة عالية المستوى رئيس فرع الأمن السياسي في منطقة ريف دمشق. مقابلة كرايسز جروب مع دبلوماسي غربي، دمشق، 1 كانون الأول 2004. انظر أيضاً أخبار الشرق، 28 تشرين الثاني (نوفمبر) 2004.

[233] غسان سلامة في لوموند، 31 آذار (مارس) 2005.

[234] أضاف بشار: "لهذا السبب لا نريد لعلاقتنا مع لبنان أن تكون ضحية لأخطاء الآخرين، خاصة السياسيين". وادعى أيضاً أن الفضل يعود إليه في تحسين العلاقات السورية-اللبنانية بدءاً من إعادة انتشار القوات السورية بداية العام 2000، مقارناً هذا الإنجاز بما حققه الحرس القديم من زيجات سياسية وتلاعب في لبنان قبل ذلك التاريخ. انظر نص خطاب بشار في صحيفة الديلي ستار، 7 آذار (مارس) 2005.

[235] انظر رايناود ليندر "وسائل عامة لغايات خاصة: بناء الدولة والسلطة في لبنان ما بعد الحرب" Reinoud Leenders, "Public Means to Private Ends: State Building and Power in Post-War Lebanon"، في إيبرهارد كينل (طبعة)، "سياسات من فوق، وسياسات من تحت: الشرق الأوسط في عصر الإصلاح الاقتصادي" Reinoud Leenders, "Public Means to Private Ends: State Building and Power in Post-War Lebanon", in Eberhard Kienle (ed), *Politics From Above, Politics From Below: The Middle East in the Age of Economic Reform* (لندن 2003).

أخرى في عملية إعادة تشكيل العلاقات السورية اللبنانية. وفي هذا السياق، اعتبر الرئيس السوري قرار تمديد ولاية لحود عام 2004 – في تحدٍ لوجهات النظر الأمريكية والفرنسية- ضرورياً لتعزيز مركزه في لبنان، وبالتالي في سوريا. "بالنسبة لبشار كان ذلك بمثابة لكمة وجهت في معركة محلية"[236].

وهكذا يمكن القول أن تناقضات وضعف السياسة السورية في لبنان قد عكست خلال الفترة الماضية التناقضات والصراعات السورية الداخلية. وربما كان الهدف تقوية قبضة بشار في لبنان، وبالتالي في سوريا. لكن النتيجة كانت عزل سوريا أكثر من ذي قبل، وإضعاف بشار على الساحة الإقليمية والدولية الأوسع واستبدال مجموعة من السوريين ذوي الخبرة –رغم فسادهم وغطرستهم- المسؤولين عن الملف اللبناني، بمجموعة مثل السابقة إضافة إلى أنها لا تمتلك الخبرة، وغير مؤهلة للعب لعبة السياسات اللبنانية، وارتكب المقربون من بشار خطأً كبيراً لأنهم استبعدوا شريحة مهمة من النخبة السياسية اللبنانية[237]. مرة أخرى، فإن قرار تمديد صلاحيات وحكم لحود والتي عارضها مسؤولون سوريون مثل نائب الرئيس عبد الحليم خدام إضافة إلى سياسيين لبنانيين متنفذين مقربين من سوريا، مثل زعيم حزب ا نصر ا ، قد قيل أنهم أبدوا معارضتهم- الأمر الذي يمثل أبرز مثال[238].

ويذهب بعض المراقبين إلى مدى أبعد بالقول أن بشار لا يسيطر على النظام وأن وضع سياسة متماسكة -سواء في مجال الإصلاح الداخلي والسياسة الخارجية- هو إحدى الضحايا الواضحة. "أناس مختلفون يديرون مؤسسات الدولة وكأنها مزارع خاصة لهم. زمرة تسيطر على الاقتصاد، وعصبة أخرى على أجهزة الاستخبارات، وثالثة الجيش. ولا يمكن لأحد وضع سياسة متماسكة للنظام"[239]. مؤيدو وجهة النظر هذه يشيرون إلى قائمة من الإشارات المرتبكة والمتضاربة – مثل العفو الرئاسي عن السجناء السياسيين الذي لم تنفذه القوى الأمنية بالكامل[240]، أو الفشل في تحديد موعد لمؤتمر حزب البعث الذي أعلن أنه قريب في أواخر العام.2003[241]. بشار نفسه أخبر بعض الزوار الأجانب أن بعض أعضاء "الحرس القديم" يقيدون يديه ويسعون لوقف توجهاته الإصلاحية وعرقلة انسياب المعلومات حول قضايا مثل طبيعة المساعدة السورية للمتمردين العراقيين[242]. ويخالف هذا آخرون، وهم مقتنعون بأن بشار يخشى وقع الإصلاح الداخلي وأنه صاحب أيديولوجية متشددة فيما يتعلق بالسياسة الخارجية ويتعذر بعدم وجود سيطرة كافية لتبرير عدم تحركه. "ليس هناك انقسام بين الحرس القديم/والحرس الجديد، وإذا كان هناك انقسام فإن بشار ببساطة هو أصغر الأعضاء سناً في الحرس القديم"[243].

ومع تصاعد التوتر في لبنان ومع الأسرة الدولية، وكذلك التوقعات في الكيفية التي سيؤثر فيها على السياسة السورية،

---

[236] مقابلة كرايسز جروب مع مستشار للحكومة السورية، دمشق، 3 شباط (فبراير) 2005.

[237] ويشمل ذلك إساءة معاملة وليد جنبلاط والحملة الشرسة ضده. أيام حافظ الأسد عملت سوريا على مسايرة جنبلاط وحاولت جذبه إلى جانبها، رغم الشك في أن لدمشق يد في مقتل والده، لكن نظام الابن حوله إلى عدو لدود. مقابلة كرايسز جروب مع محلل لبناني، باريس، آذار (مارس) 2005.

[238] حسب مصادر لبنانية عدة، نصح نصر ا –المعروف بأن الرئيس السوري معجب به ويحترمه- الرئيس السوري بألا يمدد فترة ولاية لحود. مقابلات كرايسز جروب، آذار (مارس) 2005.

[239] مقابلة كرايسز جروب مع ناشط سوري، دمشق، 3 شباط (فبراير) 2005. حول فكرة "خصخصة" السياسات السورية الخارجية، انظر تقرير كرايسز جروب "سوريا في ظل بشار(1)"، المصدر السابق ص19.

[240] أعلن بشار أول عفو في تشرين الثاني (نوفمبر) 2000، وصدر آخر عفو عن السجناء السياسيين في كانون الأول 2004. كما اعترف النظام لأول مرة أنه يحتجز "سجناء سياسيين"، السفير، 8 كانون الأول 2004. ومع ذلك، فإن بعض المعتقلين الذين ظهرت أسماؤهم على قائمة المفرج عنهم بقوا خلف القضبان. مقابلة كرايسز جروب مع المحامي هيثم المالح، ناشط حقوق الإنسان السوري، دمشق، 3 شباط (فبراير) 2005.

[241] "هناك الكثير من القضايا التي يجب مناقشتها لكن حتى القيادة القطرية (لحزب البعث) لا تعرف متى سيعقد المؤتمر. كان من الواجب التحضير له لكن شيئاً لم يحدث حتى الآن. ولا أحد يعرف ما سيحدث". مقابلة كرايسز جروب مع عضو في حزب البعث، دمشق، 5 شباط (فبراير) 2005. ووفق تقارير صحفية حديثة من المقرر عقده في أوائل حزيران (يناير) 2005. آخر مؤتمر عقد عام 2000، "الحياة"، 29 آذار (مارس) 2005.

[242] مقابلة كرايسز جروب مع مسؤولين أمريكيين وفرنسيين وعرب. تشرين الثاني (نوفمبر) 2004 وشباط (فبراير) 2005. كمثال على التشكيك في سيطرة بشار، يستشهد المراقبون بحادثة هي أنه بعد إعلان الأمين العام للجامعة العربية عمرو موسى أن بشار قد تعهد له بالانسحاب من لبنان أنكر المسؤولون السوريون ذلك على الفور، ثم سحبوا إنكارهم بعد اعتراض موسى. مقابلة كرايسز جروب مع مسؤول في الجامعة العربية، آذار (مارس) 2005.

[243] مقابلة كرايسز جروب مع مسؤول عربي، آذار (مارس) 2005.

فالنظام، الذي يبدو متشرذماً والمحاصر ويتعرض للضغوط والذي فقد إمدادات مالية ومادية أولاً من الخليج ثم من التجارة غير المشروعة مع العراق وربما من لبنان الآن، قد يضم الصفوف وينحي خلافاته جانباً، كأفضل طريقة لمقاومة الضغوط الخارجية وأي بادرة على غليان داخلي (لم تظهر علامات عليه بعد).

وبعكس ذلك، قد يسعى النظام بدافع من اليأس إلى البحث عن مخرج لمأزقه، بأن يقطع صلته بالماضي والتفاوض على علاقات جديدة مع الغرب والولايات المتحدة بشكل خاص، وقد تسعى بعض عناصره إلى تمديد حكمها من خلال تغيير توجهها السياسي، مع قيام بشار باستبدال بعض المحيطين به، أو أن يقوم المحيطين ببشار بالتخلص منه[244]. وقد يترافق ذلك بالاعتراف بالمسؤولية عن الأخطاء السابقة والوعد بإجراء تغييرات كبيرة في السياسة الداخلية و/أو الخارجية[245]. هناك بعضاً من ملامح تجدد زخم الإصلاح. فقد ذكر أن بشار منع وكالات الأمن والاستخبارات الكثيرة في البلد من اعتقال أي مواطن سوري من دون إشعار مسبق للمدعي العام المدني[246]. وصدرت مبادرات ودية تجاه الإخوان المسلمين والمبعدين السياسيين، ذكر بأنهم سيمنحون جوازات سفر تسمح لهم بالعودة[247]. وكانت هناك إشارات على استرضاء الجبهة الكردية أيضاً. وفي 31 آذار (مارس) 2005 تم إخلاء سبيل أكثر من 300 كردي اعتقلوا خلال اضطرابات الحسكة ومدن شمالية أخرى قبل عام[248]. وأعلنت سوريا (مرة أخرى) منح الجنسية للأكراد الذين لا يحملونها[249]. ومع أن هذه إشارات مشجعة، فهناك المزيد مما يجب فعله لإظهار أن صفحة الماضي قد طويت.

في مقابلات مع كرايسز جروب عبر ناشطون سوريون عن وجهات نظر مختلفة حول السياسات التي يحتمل أن تتبعها المعارضة. البعض أكد على إمكانية امتداد تأثير التظاهرات الشعبية في لبنان، التي يدعون أن السوريين ينظرون إليها بشيء من الحسد --يشوبه بعض الامتعاض أحياناً بسبب مشاعر المعارضة اللبنانية المناهضة لسوريا[250]. ورأوا أيضاً فرصة في تصاعد اهتمام الأسرة الدولية. "مع قيام العالم بالمراقبة، سيفكر النظام مرتين قبل اللجوء إلى القمع، وأساليب الأمس الدموية في قمع ناشطي المعارضة. علينا الاستفادة من ذلك والسعي لتصعيد نشاطنا[251]. آخرون كانوا أقل تفاؤلاً، وعبروا عن أساهم لحالة المعارضة السورية المستنزفة، وشككوا في أن يكون لها أي تأثير على السياسة في المستقبل[252]. اختلاف النظرة الأيديولوجية لمعظم مجموعات المعارضة السورية-- التي لا تميل إلى الإفادة من الضغط الأجنبي، أو أنها في الواقع معادية لهذه الضغوط – هو عامل آخر يعقد حشد المعارضة في سوريا بدافع من أحداث لبنان[253].

[244] بعض الأسماء التي ذكرت تشمل ماهر الأسد، الشقيق الأصغر للرئيس السوري، المسؤول عن الحرس الجمهوري، وغازي كنعان وزير الداخلية الحالي، والرئيس السابق للاستخبارات العسكرية السورية في لبنان. وآصف شوكت صهر بشار، والذي تربطه علاقة متوترة مع ماهر وبدرجة أقل مع بشار، وبهجت سليمان، رئيس أحد أهم أقسام جهاز المخابرات.

[245] بموجب هذا السيناريو، فإن النظام قد ينسخ النموذج الليبي، يعترف بمسؤوليته عن اغتيال الحريري ثم يعتقل المذنبين المزعومين.

[246] انظر البيان، 27 آذار (مارس) 2005.

[247] انظر ملاحظات رياض نعسان، السفير السوري إلى الإمارات العربية المتحدة في صحيفة النهار، 30 آذار (مارس) 2005.

[248] وكالة الأنباء الفرنسية، 31 آذار (مارس) 2005.

[249] وكالة الأنباء الفرنسية، 4 نيسان (أبريل) 2005.

[250] "حين يرى السوريون صور اللبنانيين يتظاهرون في ساحة الشهداء يحلمون بأن يحدث هذا في سوريا أيضاً". مقابلة كرايسز جروب مع ناشط سوري معارض، دمشق 6 آذار (مارس) 2005. في بداية آذار (مارس) حين بدأت المحطات الفضائية العربية في بث صور حية عن تظاهرات بيروت، كان السوريون يتحلقون حول أجهزة التلفزيون في مقاهي ومطاعم دمشق.

[251] مقابلة كرايسز جروب مع ناشط سوري، آذار (مارس) 2005.

[252] "إذا كانت مظاهرات لبنان قد بينت لنا أي شيء فهو أن المعارضة السورية لن تتمكن قط من حشد هذا العدد في الشوارع. وليس على النظام أن يخشى ثورة داخلية كما في لبنان"، مقابلة كرايسز جروب مع ناشط سوري معارض، دمشق، 6 آذار (مارس) 2005.

[253] "لا تستطيع المعارضة الإفادة من الضغوط الخارجية فلديها خوف مرضي من الأجانب مثل النظام. وهي في النهاية تتقاسم مع النظام الخلفية الأيديولوجية ذاتها". المرجع السابق. كراهية الضغوط الأجنبية ظهرت أيضاً في ردود الفعل السلبية بين جماعات المعارضة داخل سوريا على المشاورات التي دارت بين وزارة الخارجية الأمريكية وزعيم حزب الإصلاح السوري المبعد فريد الغادري في آذار (مارس) 2005. انظر إلى التعليقات التي أطلقها الناشط السوري المعارض ميشيل كيلو والتجمع الوطني الديمقراطي المعارض الواردة في "النهار" 30 آذار (مارس) 2005.

4. الفُرص والمعضلات والمخاطر

تم تركيز الهم والقلق قبل مدة ليست بالبعيدة كثيراً على ما قد يحدث للبنان بعد الانسحاب السوري –وليس ما كان يحدث لها أثناء وجود سوريا فيها. لقد قام مسؤولون أمريكيون وأوروبيون وعرب وحتى إسرائيليون بتصور سيناريوهات خطيرة مستمدة من النزاع المستوحى من الطائفية في البلاد من خلال هجمات حزب ا المتصاعدة على إسرائيل إلى العنف من جانب باللاجئين الفلسطينيين المقيمين في لبنان. علاوة على ذلك، فقد تم الافتراض في حالة العنف أن الذكريات الكئيبة لمصير الأعضاء الأمريكيين والفرنسيين من قوة متعددة الجنسيات تم إرسالها إلى لبنان في عقد الثمانينات من القرن الماضي والعديد من حالات أخذ الرهائن، ربما تخفض إلى حد كبير من احتمال أي تدخل من طرف ثالث. ويمكن القول بشكل عام أن التقييم كان يتمثّل في حقيقة أنه مهما كانت المزايا التي ستنشأ عن انسحاب سوريا -- وعلى الخصوص بالنسبة للبنانيين-- فإنها لم تكن جديرة بالمخاطر. لقد استمر التعبير عن هذا الرأي حتّى وقت قريب جداً، وعلى سبيل المثال من قبل مسؤول إسرائيلي كبير ودبلوماسيين أمريكيين سابقين[254]. ومن منظور أمريكي، فقد كانت القضية أقوى من ذلك بكثير إذا ما أخذنا في الاعتبار أنه كان من المعتقد بأن السياسات السورية الأخرى –حول العراق والجماعات المقاتلة الفلسطينية بشكل خاص – كانت ذات أهمية استراتيجية أكبر من ذلك إلى حد بعيد[255].

لقد تم فضح الزيف في العديد من الفرضيات الجوهرية التي تقف وراء هذا التقييم أو أنه لم يعد لها أي صدى في الولايات المتحدة أو فرنسا. ويعتقد العديدون أن النظام السوري الذي يجثم تحت ضغط دولي مستدام، والذي أصبح بقاؤه واستمراره معرضاً للخطر، هو نمر ورقي مزيف، حيث لا تتوفّر لديه القدرة ولا التهور لزعزعة الاستقرار في المنطقة[256].

كذلك، فقد أصبح من المعتبر حالياً أن حزب ا – مع أو بدون رعاية سورية مباشرة—سوف يقوم بمجازفة متهورة وحمقاء إذا ما قام بمهاجمة إسرائيل في وقت يُولي فيه جزء كبير من العالم اهتماماً بما يحدث، بينما حلفاء حزب ا الإقليميون يتعرضون للضغط. إن المظاهرات الجماهيرية في لبنان والتي تجاوزت الخطوط الطائفية وكذلك أسلوب المعارضة المعتدلة بشكل عام قد عزز الاعتقاد بأن الطبقة السياسية قد أصبحت ناضجة، وأنه ليست هنالك مصلحة لأي شخص لإعادة إشعال الحرب الأهلية. وهذا ينطبق بصفة خاصة على حزب ا الذي قد تتعرض مكاسبه التي حصل عليها بالجهد وشقّ الأنفس في العقدين الماضيين للخطر في حالة تفجر لبنان في نزاع طائفي مرة أخرى، حيث ستتضرر قدرته على الاحتفاظ بالوحدة الوطنية في وجه التهديدات الخارجية بشكل يتعذّر إصلاحه فيما لو قام بتوجيه أسلحته ضد مواطني بلاده[257]. وأخيراً، فقد اثبت الجيش اللبناني قدرةً تفوق ما كان يتوقّعه العديدون، حيث حصل على الإشادة من المعارضة لتصرفه فجأة "بشكل محايد، وبمهنية وحزم"[258].

[254] في تشرين الثاني (نوفمبر) شرح رئيس مجلس الأمن القومي الإسرائيلي، جيورا آيلند، قائلاً: "لا توجد مصلحة حقيقية لإسرائيل في انسحاب سوري من لبنان، والذي يمكن أن يهدد استقرار لبنان ويمنح حزب ا حرية أكبر من العمل لتصعيد الصراع على الحدود الشمالية لإسرائيل"، صحيفة هآرتس، 1 كانون الأول (ديسمبر) 2004، وفي آذار (مارس) 2005 أضاف قائلاً في مقابلة نادرة أنه مع رحيل سوريا، فقد تقوم إيران بزيادة نفوذها على حزب ا وتجعل هذه الحركة متطرفة، القناة العاشرة لتلفزيون إسرائيل، 2 آذار (مارس) 2005. وبعد اغتيال الحريري، تساءل فيلنت ليفريت، وهو مسؤول سابق في مجلس الأمن القومي الأمريكي، "هل تشعر الإدارة الأمريكية بالثقة بخصوص احتواء حزب ا دون وجود إدارة سورية على الأرض ومع وجود مرشد خارجي وحيد للجماعة يتمثّل في إيران الآخذة في التشدد بشكل متزايد؟" صحيفة نيويورك تايمز، 2 آذار (مارس) 2005.

[255] "لماذا نتدخّل في الشؤون اللبنانية؟ بأي شكل تهمنا؟ إننا نلعب بالنار عندما تكون قضايا ذات أهمية أكبر إلى حد بعيد معرضة للخطر"، مقابلة (كرايسز جروب) مع مسؤول أمريكي سابق، واشنطن، شباط (فبراير) 2005. وعن ذلك، يكتب ليفريت: "يجب أن تستخدم الولايات المتحدة القضية [قضية لبنان] في مساندة السلوك السوري المتحسن حول قضايا هي جدلاً ذات أهمية أكبر للمصالح الأمريكية في المنطقة"، في نفس المصدر.

[256] مقابلة كرايسز جروب، مع مسؤولين أمريكيين وفرنسيين، آذار (مارس) 2005. لقد اتفق مستشار لأحد أعضاء المعارضة اللبنانية في البرلمان مع هذا الرأي قائلاً: "إن الموارد السورية في لبنان آخذة في التقلّص يومياً. ولم يعد لهم جمهور من الأنصار في الشوارع تحت تصرفهم. علاوة على ذلك، يوجد حالياً تركيز دولي مكثّف على ما يحدث في لبنان. فبعد اغتيال الحريري لا يتوجب علينا أن نثبت أن السوريين هم المسؤولون. إنهم سيضرون أنفسهم فقط لو لجأوا إلى العنف"، مقابلة كرايسز جروب، مع 4آذار (مارس) 2005.

[257] مقابلة كرايسز جروب، مع محللين لبنانيين، آذار (مارس) 2005.

[258] مقابلة كرايسز جروب، مع عضو في المكتب السياسي للحزب الاشتراكي التقدمي، بيروت، 4 آذار (مارس) 2005. "لقد أثبت الجيش بأنه المؤسسة الوحيدة الجديرة بالثقة المتبقّية في هذا البلد". في نفس المصدر.

يبدو أن العديد من التهديدات التي جرى الحديث عنها كثيراً في السابق كان يتم المبالغة فيها لإدامة الوضع الراهن، كما أن هنالك في الواقع أسباباً للثقة النسبية في الوضع. وبالرغم من ذلك، فإنه من الخطأ أن نفترض بأن كافة المخاطر قد انتهت. إن الهجوم الذي تعرض له حمادة[259]، واغتيال الحريري والسيارات المفخخة التي استهدفت المناطق المسيحية في 18، 22، و26 آذار (مارس) و1 نيسان (أبريل) تبين الأخطار المستمرة[260]؛ هنالك العديد من الأطراف –السورية واللبنانية على حد سواء—ليس من مصلحتها أن ترى الأمور تسير بشكل سلس؛ إن وجود اللبنانيين والفلسطينيين المسلحين والتوترات الطائفية التي لا تزال قائمة فعلياً، وكذلك مسألة توزيع السلطة الطائفية تمثّل جميعها مزيجاً متقلباً. وبكلمات أحد المسؤولين اللبنانيين، "منطقياً، لا أحد يريد أن يتم الانحدار إلى حرب أهلية، إلا أن العديد من الأحزاب لديها مصالح متعارضة، كما أن العديدين يرون بعض المزايا والفوائد في عدم الاستقرار -- السوريون لإزالة الضغط عن ظهورهم؛ والإسرائيليون لكي يضغطوا على قضية نزع سلاح حزب ا ؛ ناهيك عن أولئك اللبنانيين الذين يخشون فقدان السلطة والموارد"[261]. وبالرغم من أن الجيش قد اثبت قدرة أكثر من كونه مهاباً، ففي نهاية الأمر فإن المجنّدين فيه هم من المجتمع اللبناني كما أنه يعكس صورة المجتمع المذكور. وإذا تفجر هذا الأخير في صراع طائفي، فإن القوات المسلحة قد تفعل ذلك أيضاً.

أ. العنف وعدم الاستقرار

لقد حذّرت دمشق وحلفاؤها من اللبنانيين، على مدى الأشهر الماضية وبشكل متكرر، من الفوضى والنزاع الطائفي الذي قد يعقب عملية الانسحاب السوري، حيث أكّدت على أن وجودها كان بمثابة ضمان لاستقرار لبنان. وقد اعتبرت المعارضة ذلك كتهديد مقنّع، تمشياً مع الممارسة التي تمت في موعدها والمتمثّلة في لعب دور منْ يشعل الحريق عمداً ويقوم في الوقت ذاته بدور فرقة الإطفائية في الشؤون اللبنانية[262]. "إنها لعبة سوريا التقليدية: العمل على خلق مشكلة ومن ثم تقديم نفسك وكأنّك تمثّل الحل الوحيد"[263].

على الرغم من أن معظم اللبنانيين الذين أجرت معهم كرايسز جروب مقابلات وسألتهم إن كانت سوريا تحتفظ بالتأييد اللازم من الجماعات اللبنانية المسلحة الرئيسية، أو إن كانت وكالات الأمن السورية – اللبنانية ستمارس العنف ضدهم[264]، فإنهم لم يستبعدوا إمكانية وجود سيناريو على غرار ما يُعرف بتيمور الشرقية تقوم خلاله الميليشيا والرجال المسلحون الذين أغضبهم فقدانهم لوضعهم وسلطتهم أو تم التأثير عليهم من قبل دمشق لإثارة النزاع الطائفي - -أو كليهما معاً- - وذلك لإطلاق العنان لحملة من العنف والتخويف[265]. إن النظام السوري الذي أخذ يشعر بالضغط الدولي المتنامي، قد يختار استراتيجية الأرض المحروقة؛ وإذا كان مثل هذا المسار قد يعمل على التعجيل تماماً في سقوطه المفاجئ، فمن المؤكد أن ذلك سيكون محلّ تفكير، ولكن ربما لا يكون حاسماً إذا ما شعر أن ذلك كان ما تقصده الولايات المتحدة وغيرها بأية حال. "إن سوريا تتمتّع بتقليد طويل الأمد في الهجمات التي يتم التحكّم فيها عن بعد والبعيدة المدى. وبشكل خاص، إذا شعر النظام أنه الهدف التالي للولايات المتحدة، فإنه يقوم بعمل ما في وسعه لتحويل التوتّر والانتباه إلى لبنان. إن الناس كثيراً ما يستهدفون سوريا؛ لكن لبنان هي التي تدفع الثمن في الغالب"[266]. وفي ضوء ذلك بصفة خاصة، فإن التقارير المتواصلة

---

[259] راجع الحاشية 90 الواردة آنفاً.

[260] لقد تسببت القنبلة الأولى في إصابات ودمار، ولكن لم تحدث وفيات. وقد سارع العديد من أعضاء المعارضة اللبنانية بتوجيه اللوم عن الهجوم إلى عملاء المخابرات السورية. راجع صحيفة النهار، 19 آذار (مارس) 2005. وقد نجم عن الحادث الثاني وفيتان. أما القنبلتان الثالثة والرابعة فقد تسببتا في إصابات ودمار. ويشك العديدون في تورط أجهزة الأمن أو قوات المخابرات اللبنانية". لقد كانت هذه بمثابة اختبارات للتأكّد من نوعية وطبيعة القرار على الصعيدين المحلي والدولي"، مقابلة كرايسز جروب، مع أحد أعضاء المعارضة، بيروت، 3 نيسان (أبريل) 2005.

[261] مقابلة كرايسز جروب، آذار (مارس) 2005.

[262] مقابلات كرايسز جروب مع أعضاء من المعارضة اللبنانية، بيروت، شباط (فبراير) – آذار (مارس) 2005.

[263] مقابلة كرايسز جروب مع أعضاء وصحفيين من المعارضة اللبنانية، بيروت، شباط (فبراير) -آذار (مارس) 2005.

[264] مقابلة كرايسز جروب مع أعضاء وصحفيين من المعارضة اللبنانية، بيروت، شباط (فبراير) – آذار (مارس) 2005.

[265] مقابلة كرايسز جروب مع زعيم من قُرنة شهوان، بيروت، 4 آذار (مارس) 2005. بالرغم من أن حزب ا يظلّ مستثنى من نزع سلاح الميليشيات بعد اتفاق الطائف، رغم أنه دون ريب أفضل جماعة مسلّحة، إلا أنه يبدو أن العديد من الآخرين قاموا ببساطة بطرح أسلحتهم جانباً، مقابلة كرايسز جروب مع مسؤول أمريكي، واشنطن، نيسان (أبريل) 2005.

[266] مقابلة كرايسز جروب مع مسؤول لبناني، آذار (مارس) 2005.

(رغم أنها غير معززة أو مؤيدة) عن النشاط المستمر من قبل عملاء أجهزة الأمن والمخابرات السورية تشكل قلقاً رئيسياً[267].

إن تفجيرات السيارات المفخّخة التي حدثت في آذار (مارس) في المناطق المسيحية المجاورة تبدو للعديدين كطلقات تحذيرية حول ما يمكن أن يحدث بعد أن تنسحب سوريا[268]. ويقول أحد أعضاء المعارضة "إننا لسنا بعيدين عن تفجير رئيس عنيف قد يقضي على حياة 100 شخص تقريباً"[269]. علاوة على ذلك، فقد لوحظ حدوث إطلاق نار بشكل متقطّع على أعضاء المعارضة غير المسلمين، حيث تم تركيز اللوم --بشكل مبرر أو غير مبرر-- على حزب أمل[270]. لقد تزامنت أولى عمليات إعادة الانتشار الرئيسية التي أجرتها سوريا في الأسبوع الثاني من آذار (مارس) مع إشاعات غير مؤيدة بأنّها تقوم بتوزيع الأسلحة على تجمعات سياسية صغيرة وفصائل فلسطينية رئيسية في مخيمات اللاجئين[271]. لقد أحاط

[267] إن بعض الأشخاص الذين اتصلنا بهم أخبرونا بأنهم يقومون باستبدال رجال المباحث الخاصين لتجنّب التعرف عليهم من قبل السكان المحليين، حيث يقيمون ورشات في شقق خاصة ويندمجون بشكل متزايد مع أجهزة الأمن والمخابرات اللبنانية"، مقابلة كرايسز جروب مع زعيم من المعارضة، بيروت، 3 نيسان (أبريل) 2005. راجع أيضاً صحيفة ذي واشنطن بوست، 31 آذار (مارس) 2005.

[268] مقابلات كرايسز جروب مع أعضاء في المعارضة، آذار (مارس) 2005.

[269] مقابلة كرايسز جروب مع عضو في المعارضة، بيروت، 3 نيسان (أبريل) 2005.

[270] في 5 آذار (مارس) 2005، قام رجال مسلّحون يحملون أعلام حزب أمل بدخول ساحة (ساسين) في المنطقة المسيحية من بيروت وأخذوا يطلقون النار في الهواء. وفي اليوم التالي قام أحد مؤيدي أمل بإطلاق النار على أحد الناشطين في المعارضة، وأصابه في ساقه في ساحة الشهداء.

[271] لقد راجت إشاعات بأن إحدى الجماعات التي حصلت على أسلحة كانت جماعة المرابطين، وهي تجمع سنّي مغمور إلى حد كبير لديه ميول قوية مناصرة لسوريا. مقابلات كرايسز جروب مع أعضاء من المعارضة اللبنانية، بيروت، آذار (مارس) 2005. لقد قام سلطان أبو العينين، وهو زعيم في حركة فتح في مخيم اللاجئين الفلسطينيين في الرشيدية (بالقرب من مدينة صور)، بالاجتماع مؤخراً مع زعماء سوريين في دمشق. وقد كانت هذه هي المرة الأولى التي يغادر فيها المخيم منذ أن حكمت عليه إحدى المحاكم اللبنانية بالإعدام غيابياً في تشرين الأول (أكتوبر) 1999 لحيازة أسلحة بطريقة غير مشروعة وترؤس جماعة مسلحة. وقد دعمت زيارته التخمين بأن النظام السوري كان يعتزم تزويد أبو العينين بالأسلحة، وهي تهمة نفاها المقاتل الفلسطيني على الفور، صحيفة الحياة، 14 شباط (فبراير) 2005. وفي تشرين الثاني (نوفمبر) 2004،

رجال مسلّحون مجهولون بمنزل مفتي السنّة، رشيد قباني، مباشرة قبل زيارة قام بها المبعوث الأمريكي ديفيد ساترفيلد[272].

هناك سيناريو يعتمد على الشرذمة المزعومة للنظام السوري وإمكانية قيام عناصر مخادعة من أجهزة الأمن أو المخابرات التابعة له بالتصرف على مسئوليتهم وبشكل مستقل – إما بتصدير المعارك المحلية إلى داخل الأراضي اللبنانية أو الانتقام لأوضاعهم وإيراداتهم التي فقدوها[273]. إن المؤيدين لهذا الرأي يراهنون على أنه، مع الأخذ في الاعتبار مراكز السلطة التي بدأت في التكاثر في سوريا، ربما تكون تلك العناصر المخادعة والشريرة هي التي قامت فعلاً باغتيال الحريري دون علم الرئيس بشّار، ناهيك عن موافقته[274]. وإذا ما تفسخ النظام بشكل أكبر في وجه الضغط الدولي، فإنه من المؤكّد تقريباً أن مواجهاته الداخلية أو الاستياء المحلي والفوضى الناجمة عن ذلك سوف تتدفق على لبنان.

يُعتبر مستقبل حزب ا سبباً آخراً للقلق. وفي حين أن المناقشات ستستمر دون ريب فيما يتعلق بقدرته ورغبته في أن يصبح مجرد حزب سياسي، فإن نزع السلاح لن يأتي بسهولة ولا دون قتال، إذا ما تمت المحاولة للقيام بذلك في أي وقت قريب. لقد أصر حزب ا بأنه لن يستخدم أسلحته ضد المواطنين اللبنانيين[275]، إلا أن ذلك قد يتغير إذا ما شعر بأنه مهدد. وبكلمات ناطق رسمي، "إذا جاء أي شخص لنزع سلاحنا، فسوف نلتهمه. سوف نشعر بغضب شديد. ولكن، على أية حال، فإن الجيش اللبناني سيكون آخر من يحاول نزع سلاحنا. إن 70% من الجيش هم مسلمون وإن 70% من هؤلاء المسلمين هم من

أنكر أبو العينين أنه قام بزيارة دمشق بعد أن ظهرت تقارير تفيد بذلك. راجع صحيفة أخبار الشرق، 28 تشرين الثاني (نوفمبر) 2004.

[272] راجع وكالة الصحافة الفرنسية، 1 آذار (مارس) 2005.

[273] مقابلة كرايسز جروب مع أعضاء في المعارضة اللبنانية والسورية، بيروت، دمشق، شباط-آذار (فبراير-مارس) 2005.

[274] لقد رفض مسؤول غربي استبعاد ذلك، مضيفاً، "لست متأكداً من الذي يشكّل مضايقة أكبر لبشّار. فلو كان يقف وراءه (أي الاغتيال)، عندئذ تكون المشاكل الدولية قد بدأت للتو. وإن لم يكن كذلك، فإن مشاكله الداخلية هي أكبر إلى حد بعيد مما كنّا نعتقده". مقابلة كرايسز جروب، باريس، آذار (مارس) 2005.

[275] إن أسلحة حزب ا "لم تُستخدم مطلقاً في اللعبة الطائفية، بل كان يتم توجيهها فقط ضد العدو الإسرائيلي [و] لن يتم استخدامها داخل البلاد"، نعيم قاسم، نائب الأمين العام لحزب ا ، في صحيفة النهار، 1 نيسان (أبريل) 2005.

الشيعة"[276]. لقد راقب أعضاء المعارضة بحذر الإشارات الأخيرة لتقرب حزب ا من حماس والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التي يتزعمها أحمد جبريل -- القيادة العامة، وهما جماعتان مقاتلتان أخريان لهما وجود مسلّح في لبنان[277]. وكما هو واضح، فإن قيادة حزب ا مقتنعة أن مصيرها، بعد انسحاب سوريا، هو الموضوع الذي سيتم تقريره والبتّ فيه، وأنه بغض النظر عن الضمانات، فإنه يشك في قدرة المعارضة، عندما تتولّى السلطة، على مقاومة الضغط الأمريكي. وطبقاً لمسؤول لبناني:

> إن نزع السلاح ليس موجوداً في أجندة حزب ا ، بالرغم من أية إشارات معتدلة قد يحمله. فإذا ما شعر بأنه مهدد، وإذا ما شعر بأن الولايات المتحدة تطارده، فإنه سيثير عدم الاستقرار، إما مباشرة أو من خلال التعبير عن مطالب الشيعة للحصول على حصة أكبر وأعدل في الكعكة السياسية. وليس من الصعب أن نتصور هذا السيناريو --يقوم الشيعة بتأكيد سلطتهم؛ ويشعر الموارنة بأنهم مهددون ويتفاعلون-- وهذا يؤدي فوراً إلى مواجهة طائفية[278].

باختصار، وبكلمات محلّل لبناني، "يجب البتّ في قضية حزب ا من خلال حوار سياسي شامل، أو أنه سيتسبب في اندلاع العنف"[279].

يشير المحلّلون أيضاً إلى احتمال آخر، وهو الفراغ الأمني في جنوب لبنان إذا ما غادره حزب ا أو تولّى دوراً سلبياً فيما يتعلق بالجماعات الفلسطينية الراديكالية والمسلّحة والتي قد تقوم أيضاً، بدافع القناعة أو لخدمة أغراض أخرى، بشن هجمات ضد إسرائيل[280].

وفي المدى الأبعد، وبمجرد أن تنسحب سوريا، فإنه قد يتم العودة إلى مسألة لبنان المعقّدة والمثيرة للفتن والقلاقل في التوازن الطائفي للسلطة والذي ينطوي على عواقب لا يمكن التنبؤ بها. إن معادلة الطائف التي قد تكون منقوصة وغير تامة –والتي كانت سوريا ضمنياً طرفاً فيها—قد وفّرت قدراً من الاستقرار، وبينما دعت إلى إزالة والقضاء على الطائفية في النظام اللبناني، إلا أنه لم يتم أبداً تنفيذ هذا الجزء من الاتفاق. إن الشيعة الذين يشعرون بأنهم أكثر عرضة للأذى في أعقاب أي انسحاب أو عندما يتنبهون لخطر أية برامج محتملة لنزع سلاح حزب ا ، قد يتحدون تماماً التوزيع الجائر للسلطة. بموجب اتفاق الطائف، الذي يمنحهم تمثيلاً برلمانياً (27 من 128) يعادل التمثيل الممنوح للسنّة ولكنه أقلّ من الموارنة(34) على الرغم من تفوقهم الديموغرافي[281]. لقد كانت هناك تذمرات حول كلّ من التوزيع المذكور والحد الأدنى المسموح به للتصويت وهو سن 21 عاماً، حيث يُنظر إليه على أنه ضار بالشباب من السكّان الشيعة[282]. وبالنسبة للموارنة بشكل خاص، فإن

---

[276] مقابلة كرايسز جروب مع حسين نابلسي، الناطق الرسمي لحزب ا ، بيروت، 1 نيسان (أبريل) 2005.

[277] مقابلة كرايسز جروب، بيروت، 3 نيسان (أبريل) 2005. قال نصر ا ، متحدثاً في احتفال مشترك لإحياء ذكرى اغتيال زعيم حماس أحمد ياسين: "إن الخيار الوحيد المتبقي لهم [الأمريكيين] هو أن يأتوا بأنفسهم لنزع سلاح المقاومة ومخيمات [اللاجئين الفلسطينيين] في لبنان... أود لو يأتون، أود لو يأتون". وقد حضر الاحتفال زعيم حماس خالد مشعل وزعيم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أحمد جبريل. راجع صحيفة ذي ديلي ستار، 1 نيسان (أبريل) 2005.

[278] مقابلة كرايسز جروب، آذار (مارس) 2005.

[279] مقابلة كرايسز جروب، آذار (مارس) 2005.

[280] مقابلة كرايسز جروب مع صحفي لبناني، بيروت، 4 آذار (مارس) 2005. إن مثل هذا السيناريو لن يكون دون سابقة. ففي العديد من المناسبات، قام ما يُعرف بالفصائل الفلسطينية المتشردة بشن هجمات على الخطّ الأزرق. راجع تقرير كرايسز جروب، "الاعيب قديمة، قواعد جديدة"، في نفس المصدر، صفحة 9 "يبدو أن حزب ا يقول، إذا كنتم لا تريدون منّا أن نكون هنا وهناك، فلن نتمكّن من السيطرة على الوضع هنا أيضاً"، مقابلة كرايسز جروب مع أحد الدبلوماسيين، بيروت، شباط (فبراير) 2005.

[281] يمثّل السنّة 26.5 بالمائة من مجموع جمهور الناخبين والشيعة 26.2 بالمائة والموارنة 22.1 بالمائة. وزارة الداخلية اللبنانية، نيسان (أبريل) 2005. إن مقاعد البرلمان البالغة 128 مقعداً موزعة كما يلي: 64 للمسلمين (27 سنياً و27 شيعياً و2 من العلويين و8 دروز) و64 للمسيحيين (34 مارونياً و14 من الروم الأرثوذكس و8 من الروم الكاثوليك و6 من الأرمن وواحد بروتستنتي، وواحد "آخر").

[282] إن مشروع القانون الذي قدمته حكومة كرامي في كانون الثاني (يناير) 2005 احتفظ بالسن المسموح بها للتصويت بواحد وعشرين عاماً، ومن المحتمل أن يكون ذلك لاسترضاء المجتمع الماروني. لقد أخفق البرلمانيون الشيعة في تمرير تعديل يخفض العمر إلى ثمانية عشر عاماً، وهو عمر معقول بغض النظر عن الاعتبارات الطائفية. إن حسابات كرايسز جروب المبنية على أرقام مقدمة من وزارة الداخلية توحي أن من بين 227.64 لبنانياً تتراوح أعمارهم بين الثامنة عشرة والحادية والعشرين، هناك حوالي 72.720 (32 بالمائة) من الشيعة، و73.438 (32.2 بالمائة) من السنّة، وفقط 42.362

إعادة فتح صندوق الشرور البشرية قد يكون موقفاً فظاً وعاقبة غير متعمدة في اندفاعهم لإخراج سوريا. وكما أقر مسؤول أمريكي، "إن لبنان بعد سوريا ستكون لديها مع ذلك جميع مشاكل لبنان: إنها ليست دولة في حقيقة الأمر، حتّى أنها أقلّ من العراق. وعلى سوريا أن ترحل، ولكن بدون سوريا، فسوف تستمر الحياة أيضاً في فوضى كبيرة للغاية"[283].

ب. الاختناقات المؤسساتية

لا يجوز النظر إلى احتمال حدوث العنف بمعزل عن الأزمة المؤسساتية الحالية، والتي يتطلب حلّها التشكيل السريع لحكومة جديدة واعتماد قانون جديد للانتخابات بحلول 30 نيسان (أبريل) 2005، وإجراء الانتخابات قبل نهاية الدورة الحالية للبرلمان في 31 أيار (مايو). إن هذا هو، كما ستبقى، الورقة الرابحة لكلّ من الموالين ولسوريا، إذ أنه في حالة غياب هذه الخطوات، فقد يجد لبنان نفسه دون انتخابات أو برلمان أو حكومة، وبوجود لحود كرئيس مُختلف عليه أو، إذا استقال، بدون رئيس على الإطلاق[284]. وبكلمات كرامي، "ما لم تفي بهذه الاستحقاقات [حكومة جديدة وقانون الانتخابات] بحلول 30 نيسان (أبريل)، فلن تكون هنالك انتخابات. وبدلاً من ذلك، سيكون هنالك فراغ. ولن تكون هنالك حكومة ولا برلمان قادر على التشريع في حالة غياب الحكومة. إنه لن يستطيع حتى تمديد فترة انتدابه"[285]. إن مثل هذا الفراغ المؤسساتي الشامل سيوفّر أرضية خصبة لعدم الاستقرار، ويتيح الفرصة لدمشق وحلفائها بالإنحاء باللائمة على المعارضة لوجود الأزمة، وفتح الطريق أمام التدخّل السوري المستمر[286]. لقد عبر أحد الصحفيين اللبنانيين عن مخاوفه لـ كرايسز جروب:

> إنني أخشى من فراغ السلطة أو من حكومة عسكرية خلال بضعة أشهر في حالة عدم إجراء انتخابات. سيقول لحود أنه ليس لديه خيار، وسيكون ذلك أمر جيد لسوريا، حيث سيتيح لها الفرصة بأن تبين أن لبنان بدونها هو في حالة فوضى[287].

إن أعضاء المعسكر الموالي للحود لا يخفون بأن هذه هي حساباتهم وأنه، في تقديرهم، فإن نتيجة المعركة الراهنة هي، بناء على ذلك، بعيدة عن الحسم[288]. لقد قيم أحد أعضاء البرلمان الموالين لسوريا بأن الدعوات التي تطالب باستقالة الرئيس لن تصل إلى الجماهير الرئيسية بسبب التوتّرات داخل صفوف المعارضة ولأن تلك الخطوة ستمهد الطريق لانتخاب رئيس مُوالي آخر من قبل البرلمان الحالي[289]. وقد راهن آخرون على أنه في حالة تشكيل حكومة جديدة، فسوف تنتقل المواجهة إلى قانون الانتخابات: إذا قامت الحكومة بتقديم اقتراح يُعتبر غير عادل من قبل المعارضة، فإن البرلمانيين التابعين لهذه الأخيرة سيواجهون المعضلة المتمثّلة في وجوب تأييد القانون بالرغم من الخلل والنقص الموجود فيه، أو تجميده، على الرغم من أنه لن يتم بدونه إجراء الانتخابات[290].

(18.6 بالمائة) من الموارنة. واستناداً إلى هذه الأرقام، يجب أن يكون الزعماء السياسيون من السنّة مهتمين بشكل متساوٍ في تخفيض العمر المسموح به للتصويت. فيما يتعلق بإحصائيات الوزارة المحلّلة وفقاً للقضاء، راجع صحيفة البلد، 26 كانون الثاني (يناير) 2005.

[283] مقابلة كرايسز جروب مع مسؤول أمريكي، واشنطن، آذار (مارس) 2005.

[284] في حالة استقالة لحود ورفض البرلمانيين المشاركة في الانتخابات، فإن المادة 62 من الدستور تفوض مجلس الوزراء بتولّي سلطاته "بشكل مؤقت". ومع ذلك، ليس هنالك نص دستوري يقرر ما يمكن أن يحدث إذا كانت الحكومة مجرد مجلس وزراء لتصريف الأمور.

[285] صحيفة النهار، 11 آذار (مارس) 2005. إن مثل هذا السيناريو، وبعبارات قانونية دقيقة على الأقل، يذكّرنا بالأزمة التي حدثت في عام 1988، عندما أخفق البرلمان في انتخاب رئيس جديد قبل انتهاء مدة ولاية أمين جميل. وفي ذلك الوقت تسبب الأزمة أيضاً في جولة أخرى من الصدامات العنيفة.

[286] لقد نُقِل عن كرامي قوله بأن البديل الوحيد لـ "حكومة وحدة وطنية" يتمثّل في "انهيار كلّي، لا سمح ا "، صحيفة السفير، 11 آذار (مارس) 2005. وقال أيضاً بأنه سيأخذ وقته لتشكيل حكومة جديدة، "وإنني أرى انتظاراً طويلاً". صحيفة الشرق الأوسط، 11 آذار (مارس) 2005.

[287] مقابلة كرايسز جروب، بيروت، 3 آذار (مارس) 2005.

[288] مقابلة كرايسز جروب مع عضو كبير في معسكر لحود، بيروت، 9 آذار (مارس) 2005.

[289] "لو استقال لحود، فسوف تحصلون على [وزير داخلية حالي موالٍ لسوريا] وهو سليمان فرنجية. هل هذا ما تريده المعارضة؟" مقابلة كرايسز جروب، بيروت 9 آذار (مارس) 2005. وكما هو معلوم، فإنه يقال بأن البطريرك صفير يعارض استقالة لحود حالياً، حيث يعتبر ذلك ضربة محتملة للطائفة المارونية. وفي النظام السياسي لحقبة ما بعد الطائف، فإن "الموارنة هم الذين يقررون مثل هذه الأمور، وليس زعيم درزي أصبح الرمز الرئيسي للمعارضة". في نفس المصدر.

[290] طبقاً للقانون، فإن تمرير مشروع القانون يحتاج إلى أغلبية من ثُلثي الأعضاء، وبالتالي يتطلّب عشرين صوتاً أكثر من تلك التي قدمها أولئك الموالون. على الرغم من ذلك، فإن المراهنة على عكس ذلك تتمثّل في عدم قدرة الحكومة على إجراء انتخابات دون تصويت برلماني باللجوء إلى قانون

إن المقترحات الأخيرة من قبل الموالين لعين التينة بأن يتم إجراء الانتخابات على أساس مناطق التصويت بالمحافظات (كما ينص اتفاق الطائف) والتمثيل النسبي لتعتبر وسيلة تكتيكية مكلفة أخرى للتأجيل --إن تنفيذها سوف يتطلّب وقتاً طويلاً لإعادة رسم التقسيمات الإدارية وإعادة تعديل قوائم الانتخابات الملازمة لها[291]. وبالطبع، فإن الموالين سيستفيدون من مأزق مؤسساتي مستمر يعمل على تأجيل انتخابات كانت كفيلة بتعزيز تمثيل المعارضة بشكل هام[292]. وأخيراً، كلما طال أمد المأزق، كلما كان من المرجح أكثر انقسامات المعارضة-- والتي تشمل الانقسامات بين الموارنة والمسلمين وبين أتباع عون المتشددين والشخصيات الأكثر اعتدالاً-- بأن تتقدم إلى الأمام. وبكلمات محلل لبناني، "إن أيام وحدتنا الوطنية هي حدث نادر-- إنها تأتي في أوقات الغبطة والفرح وفي أوقات الحداد"[293]. لقد أوضح أعضاء المعارضة، الذين يخشون مثل هذا السيناريو، أن أولويتهم تتمثل في إجراء الانتخابات في موعدها، وليس إنجاز قانون الانتخابات المفضل لديهم. "إننا نريد إجراء الانتخابات بأسرع ما يمكن، بغض النظر عن القانون"[294]-- مما يعني ضمنياً الاحتفاظ بنظام القضاء مع الأخذ في الاعتبار الوقت الذي قد تستغرقه لإعادة رسم مناطق المحافظات، ورفض التمثيل النسبي، مع الأخذ في الاعتبار المضاعفات التي تستغرق وقتاً طويلاً نتيجة لمثل هذا التغيير. ومن جانبهم، يأمل الموالون إما في تأجيل الانتخابات أو انتزاع ضمانات بالنسبة لدورهم السياسي المستقبلي --وبالتالي، بالنسبة لسوريا-- مقابل تجنّب أزمة مؤسساتية مطولة.

إن التهديد بالشّلل يساعد في تفسير مواقف المعارضة المتأرجحة والمتشعبة[295]. ففي حين كانت في البداية متشددة في إصرارها على تلبية جميع مطالبها-- بعزل رؤساء أجهزة الأمن والمخابرات اللبنانية وإجراء تحقيق دولي حول اغتيال الحريري-- قبل أن تشارك في المشاورات حول حكومة جديدة، إلا أنها خففت من لهجتها تدريجياً. كذلك، فقد أصبحت الدعوة إلى استقالة الرئيس لحود ذات صوت أخفت، بما في ذلك جنبلاط الذي كان يوماً ما المؤيد الرئيسي لها[296]. وبالنسبة للمعارضة، فإن الأولوية هي، وكما يجب أن تكون، التوجه نحو الانتخابات في موعدها تقريباً (بنهاية أيار/مايو أو بعده بوقت قصير) ونحو حكومة جديدة تمثيلية في أعقابها[297].

إن العثور على مخرج من هذا الوضع المعقّد قد أصبح أكثر صعوبة نتيجة لعدم توفّر طرف ثالث لعمل كوسيط موثوق به. وفي حين أنه باستطاعة الجامعة العربية أن تبني على سابقة الطائف وتعرض خدماتها، إلا أن المعارضة تخفي شكوكاً حول نزاهتها وعدم تحيزها أو قدرتها على الاحتمال[298]. لقد كان موقف القمة العربية الأخيرة

عام 2000، إذ أن هذا الأخير يشترط بأنه صالح "لمرة واحدة فقط". مقابلة كرايسز جروب مع زعيم الحركة اليسارية الديموقراطية، بيروت، 1 نيسان (أبريل) 2005.

[291] إن الاقتراح يبين أن المعارضة في ورطة: بوسعها أن تلح على إجراء الانتخابات في وقتها استناداً إلى القضاء، وبالتالي تتعارض بشكل فعال مع أحد شروط اتفاق الطائف الذي تدعي بأنها ملتزمة به، أو أن تواجه تأجيلاً هاماً للانتخابات. إن قيام الموالين بتأييد التمثيل النسبي يؤدي إلى وضع عقبة أخرى أيضاً، إذ أن تحقيق مثل هذا النظام سيستغرق وقتاً طويلاً جداً، ومن المرجح أن يعمل على تقسيم المعارضة بعمق، حيث سيتعين عليها أن تستقر على ترتيب مرشحيها. مقابلة كرايسز جروب مع محلل لبناني، نيسان (أبريل) 2005. لقد استجابت جماعات المعارضة بأساليب متناقضة، حيث رفضت بعضها الاقتراح بصفته إحباطاً في التأجيل الانتخابات، بينما عرض البعض الآخر قبولاً مشروطاً. لقد اقترح جنبلاط قبول المحافظة كمبدأ شامل ووحيد لجذب مناطق الاقتراع، ولكن ليس التمثيل النسبي. وقال أنه يجب إضافة محافظة تاسعة إلى الثماني محافظات القائمة حالياً وذلك بتقسيم تلك الموجودة في جبل لبنان، حيث سيسمح ذلك للمسيحيين بأن يصبحوا أكثر قدرة على انتخاب ممثليهم. راجع صحيفة السفير، 6 نيسان (أبريل) 2005.

[292] مقابلة كرايسز جروب مع عضو برلمان موالٍ لسوريا، بيروت، 9 آذار (مارس) 2005.

[293] مقابلة كرايسز جروب، آذار (مارس) 2005.

[294] مقابلة كرايسز جروب مع وليد فخر الدين، عضو المكتب السياسي للحركة اليسارية الديمقراطية.

[295] أوضح أحد أعضاء المعارضة قائلاً، إن الموالين "يحاولون تأجيل تشكيل حكومة جديدة لكي يسببوا نشوء أزمة مؤسساتية. إن هذا هو البديل لمسارهم الآخر: خلق ارتباك وفوضى شديدة في الشوارع وإثارة العواطف الطائفية"، مقابلة كرايسز جروب، بيروت، 4 آذار (مارس) 2005.

[296] أوضح جنبلاط بأن الأولوية تتمثّل في إجراء الانتخابات التي تحتاج إلى وجود حكومة. "ولاحقاً، وبعد أن نفوز في الانتخابات، ستكون هناك حكومة جديدة. وعندئذ سوف أنصح الرئيس لحود أن يتنحى، وسيكون هناك نظام جديد ورئيس جديد وحكومة جديدة". وكالة الأسوشييتد برس، 21 آذار (مارس) 2005.

[297] مقابلة كرايسز جروب مع عضو في المعارضة، بيروت، 1 نيسان (أبريل) 2005.

[298] في أواخر عقد الثمانينات من القرن الماضي، شكّلت الجامعة العربية لجنة ثلاثية عليا للتوسط والإشراف على اتفاقية سلام بين الفصائل المتحاربة في لبنان؛ وقد نتجت عن ذلك اتفاقيات الطائف لعام 1989. واستجابة للهموم بين أعضاء البرلمان اللبناني بخصوص الهيمنة السورية الزاحفة، فقد تعهدت اللجنة

--أو عدم وجوده-- حول الأزمة اللبنانية يكاد لا يوحي بثقة كبيرة في قدرتها على لعب دور فاعل ومساعد في حلّها[299]. إن دوراً أمريكياً فاعلاً سوف ينطوي على مخاطر عالية؛ ويعرب العديد من الصحفيين والمراقبين اللبنانيين --بمن فيهم الكثيرون من الذين لا يمكن الاشتباه بتعاطفهم مع الموالين—عن هواجسهم حول الزيارات المتكررة التي يقوم بها المبعوث الأمريكي ساترفيلد وحول أشكال أخرى من التدخّل من قبل واشنطن[300]. وكحد أدنى، ومن خلال حقن اعتبارات أوسع في المزيج (كمستقبل حزب الله وعلاقات لبنان المستقبلية مع إسرائيل، أو تغيير النظام في سوريا)، فإن دوراً أمريكياً واضحاً سيخاطر في تعقيد المهمة الحالية الوشيكة الحدوث، وهي انتخاب حكومة لبنانية شرعية وتمثيلية[301]. وهذا يترك الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي كفاعلين لديهما القدرة والفاعلية على القيام بدور وساطة والإشراف على انسحاب سوريا وتسهيل إجراء انتخابات حرة وعادلة في لبنان.

5. الأمور الأولى أولاً: الحصول على حكومة لبنانية منتخبة وتمثيلية وذات سيادة

لقد فتحت الأحداث في لبنان الباب أمام مجموعة واسعة من الاحتمالات ابتداء من إضعاف النظام في دمشق وحتى التعامل مع حزب الله وإعادة تشكيل علاقات لبنان مع إسرائيل. ورغم ذلك، فإن متابعة أي من هذه الأهداف سيسبب الضرر للأمور التي يجب أن تستمر في كونها الغايات الجوهرية: إجراء الانتخابات في موعدها وإدارة انتقال سلمي وتجنّب العنف المتجدد. لذلك، فإن عزل الأحداث في لبنان عن هذه الأجندة الأوسع يجب أن ينال المقام الأول في تفكير الفاعلين المعنيين وأعضاء المجتمع الدولي على حد سواء. ومع أخذ هذا المبدأ المرشد في الاعتبار، فإن سلسلة من القواعد تتبع ذلك:

بالنسبة للفاعلين السياسيين في لبنان. لقد نشأت الطبقة السياسية اللبنانية، التي اعتادت على التفاعل مع الضغوط والمطالب الخارجية، دون أن تتعود على صنع قراراتها بنفسها. ومع ذلك، فإن التجوال بنجاح داخل الأزمة الحالية سوف يتطلّب تحقيق إجماع داخلي أوسع دون مساعدة هامة من --ما هو في الواقع أكثر ترجيحاً لحدوثه من عدمه على الرغم من التدخل من قبل—الدخلاء. وللتوفيق بين الدوائر الانتخابية المختلفة، يجب التوصل إلى اتفاق حول سلسلة الخطوات الفورية التالية:

- إقامة حكومة جديدة قصيرة الأمد، بحيث يتمثّل تفويضها في تمرير قانون للانتخابات وتنظيم انتخابات حرة وعادلة؛
- توقيف رؤساء المخابرات مؤقتاً عن العمل لحين ظهور نتيجة التحقيق الذي تجريه الأمم المتحدة حول اغتيال الحريري.
- التبنّي السريع لقانون الانتخابات على أساس منطقة القضاء، وبالنسبة لبيروت، قانون عام 1960.
- إعلان الانتخابات بنهاية أيار (مايو) 2005 أو، في حالة الضرورة الحاسمة، بعد مهلة قصيرة ودعوة رسمية للمجتمع الدولي لإرسال مراقبين قبل إجراء الانتخابات بوقت كافٍ. وتعتبر هذه النقطة الأخيرة جوهرية، حيث أن المخالفات كثيراً ما تحدث قبل يوم الانتخابات.
- قيام الأمم المتحدة بالتحقق من الانسحاب الكامل لوجود الجيش والمخابرات السورية بحلول نهاية نيسان (أبريل) 2005.

بالعمل بصفة "ضامن أخلاقي" للسيادة اللبنانية في ضوء "علاقاتها الخاصة" مع سوريا. وقد انحلّت اللجنة بسبب الانقسامات الحادة في الجامعة العربية حول حرب الخليج الأولى. راجع بيان اللجنة الثلاثية العربية (Communiqué du Haut Comité Tripartite Arabe)، 24 تشرين الأول (أكتوبر) 1989، في: منشورات الشرق، الربع الأخير من عام 1989، الربع الأول من عام 1990، رقم 16-17، الصفحات 129-133. (*Les Cahiers de l'Orient*, 4th trimester 1989, 1st trimester 1990, no. 16-17).

[299] أصدرت القمة العربية المنعقدة في 23 آذار (مارس) 2005 بياناً ختامياً يساند سوريا ضد القانون الأمريكي لمحاسبة سوريا. ولكنه لم يذكر الوضع السياسي في لبنان أو الانسحابات السورية. راجع صحيفة ذي ديلي ستار، 24 آذار (مارس) 2005.

[300] مقابلات كرايسز جروب، بيروت، آذار (مارس) - نيسان (أبريل) 2005. كانت الولايات المتحدة ضالعة بعمق في جهود تشكيل موقع المعارضة في الانتخابات وعلاقاتها بكتلة عين التينة. مقابلة كرايسز جروب مع أحد الدبلوماسيين، بيروت، 8 نيسان (أبريل) 2005

[301] انتهز حزب الله فرصة المقترحات الأمريكية بأن الأحداث في لبنان كانت تشكّل موجة من عمليات التقدم الديموقراطي في المنطقة، مجادلاً بأن الولايات المتحدة كانت تسعى إلى فعل ما "فشلت إسرائيل في فعله لوحدها" و"خلق الشرق الأوسط الكبير" تحت سيطرتها. نعيم قاسم، "ماذا يريدون من لبنان؟"، صحيفة الشرق الأوسط، 24 آذار (مارس) 2005.

- قيام مراقبين دوليين برصد مسار الانتخابات الحرة والعادلة؛ و
- تشكيل حكومة جديدة.

وفقط عندما تستقر الحكومة المذكورة في مكانها يمكن تناول مسائل أوسع --مستقبل حزب ا وموقف لبنان من مزارع شبعا والإجراءات المتعلقة بالقضاء على الطائفية وإعادة رسم حدود المحافظات. وبعد هذا القول، ولضمان انتقال سلمي، ستكون هنالك حاجة علنية وواضحة إلى بعض التأكيدات بخصوص هذه الأمور من المعارضة: أولاً، أن يتم تسوية وضع حزب ا فقط من خلال الحوار والإجماع الوطنيين؛ ثانياً، أن يأخذ لبنان هموم سوريا في الاعتبار عند تشكيل سياساته تجاه إسرائيل؛ ثالثاً، أن تتمتّع كلّ من لبنان وسوريا بعلاقات وثيقة بين سيادتين متساويتين، ورابعاً، أن يظل اتفاق الطائف القاعدة للترتيبات السياسية بالنسبة للبنان. وهذه النقطة الأخيرة هامة لأن أي إعادة فتح متهور لتلك المساومة سوف يتعرض لمخاطرة تفجير النزاع الداخلي والدعوة إلى التدخّل الخارجي، حيث ستقوم مختلف الجماهير الموالية بمناشدة سوريا أو إيران أو المملكة العربية السعودية أو فرنسا أو الولايات المتحدة.

في الوقت الذي يتم فيه تناول مثل هذه القضايا ومع التطلّع إلى إقناع حزب ا بأن "هناك سيناريوهات لا تنطوي على تهديد بخصوص دوره المستقبلي كجماعة مقاومة مسلّحة"، فإن المبادئ التالية يمكن أن تخدم كأساس[302].

- موافقة حزب ا على احترام الخط الأزرق الذي حددته الأمم المتحدة كخط يفصل بين إسرائيل ولبنان، وعدم مهاجمة أهداف إسرائيلية، بما في ذلك شبعا.
- الاندماج التدريجي لحزب ا في الجيش اللبناني، في البداية كوحدة مستقلّة بذاتها؛ وسيترتّب على ذلك قيام حزب ا باحترام القرارات التي تتوصل إليها الحكومة اللبنانية. لقد اقترح نسيب لحود، العضو البرلماني إجراء ترتيب يقوم لبنان بمقتضاه بالاحتفاظ بـ"البنية التحتية لحزب ا وأسلحته كاحتياط استراتيجي وورقة مساومة قبل التوصل إلى تسوية نهائية مع إسرائيل. ويجب أن لا يحتفظ حزب ا بوضعه السابق، بل يجب أن يخضع للمساءلة من حكومة لبنانية ذات سيادة وأن يسترشد باستراتيجية شاملة يتم الموافقة عليها من قبل حكومة ديموقراطية"[303]؛
- نقل صواريخ حزب ا بعيداً إلى الشمال[304]؛ و
- نشر الجيش اللبناني على حدود إسرائيل[305].

بمقتضى هذا السيناريو، سيكون نزع السلاح الكامل مرتبطاً بتغيرات إقليمية أوسع على الجبهة العربية-الإسرائيلية، مثل اتفاقات السلام السورية/الإسرائيلية واللبنانية/الإسرائيلية.

بالنسبة إلى الأمم المتحدة. هنالك مهمتان رئيسيتان تقعان على عاتق الأمم المتحدة، وهما تنفيذ القرار 1559 والتحقيق في اغتيال الحريري. وفي هاتين الحالتين، فإن الأمر يحتاج إلى العمل بحزم وجهد، بينما يتم تجنّب أية خطوات كفيلة بإثارة ردود فعل عنيفة[306]. وفيما يتعلق بالقرار 1559، فطالما أنها حصلت الآن على التزام سوري بالانسحاب الكامل بحلول نهاية نيسان (أبريل) 2005، فإنها بحاجة لمراقبة والتحقّق من الانسحاب، للتأكّد بشكل خاص من أن دمشق لا تعتمد على وكلاء أو رجال مخابرات جدد[307]. وفي الوقت ذاته، يجب أن تتبنّى الأمم المتحدة أسلوباً

[302] مقابلة كرايسز جروب الهاتفية مع أحد الدبلوماسيين، 1 نيسان (أبريل) 2005.

[303] مقابلة كرايسز جروب مع أنطوان حداد، مستشار نسيب لحود، بيروت، 8 كانون الأول (ديسمبر) 2004.

[304] في كانون الثاني (يناير) 2005 اقترح بعض الدبلوماسيين بأن ينتقل مقاتلو وأسلحة حزب ا إلى مسافة تبلغ حوالي عشرين إلى 30 كيلومتراً نحو الشمال مقابل استجابة إسرائيلية إيجابية تجاه المفاتحات التمهيدية السورية لاستئناف المحادثات. مقابلات كرايسز جروب، بيروت، كانون الثاني (يناير) 2005. لقد أفاد أحد أعضاء المعارضة الذي أثار هذه الفكرة مع حزب ا بأن الحزب المذكور رفض الفكرة بصفتها "مؤامرة صهيونية". مقابلة كرايسز جروب، بيروت، 3 نيسان (أبريل) 2005.

[305] بخصوص هذه المقترحات، راجع نيكولاس بلانفورد، ميريب Nicholas Blanford, MERIP، 23 آذار (مارس) 2005.

[306] قام تيري رود-لارسن بالفعل "بنقل رسائل معتدلة وحثّ جميع الأطراف على المرونة لتجنّب أزمة مؤسساتية". وقد تم تقييد دوره لأنه لم يكن هو أو موظفوه مقيمين في لبنان. "إن القيام بذلك الآن يعتبر متأخراً جداً وصعباً وذلك لأسباب بيروقراطية [داخل الأمم المتحدة]"، مقابلة كرايسز جروب الهاتفية مع أحد الدبلوماسيين، بيروت، 1 نيسان (أبريل) 2005.

[307] لقد جادل أيضاً أن الولايات المتحدة، بإزالتها للشك، تنوي تقديم أجندة إقليمية إسرائيلية، حيث أن مثل هذا التصريح سيعمل على تحسين صورة واشنطن في سوريا، وبالتالي يسهل جهودها في تعزيز الديموقراطية. مقابلة كرايسز جروب، آذار (مارس) 2005.

أكثر تدبراً وتمعنا إلى حد بعيد بالنسبة للجزء الثاني من القرار، والمتمثّل في نزع سلاح حزب الله، بحيث توضح أنه يظلّ قبل كلّ شيء قضية لبنانية داخلية وأنها مستعدة لتقديم خدماتها بشأنه. ويجب عليها بشكل خاص أن تتجنّب التعليق على هذه المسألة قبل الانتخابات اللبنانية وتشكيل حكومة جديدة.

من الأمور الهامة أن يكون التحقيق شاملاً ومستقلاً. وفور الانتهاء منه ينبغي أن يُصر مجلس الأمن على مقاضاة أي أشخاص تثبت مسؤوليتهم؛ وإذا استنتج مجلس الأمن أن مثل هذه المحاكمة غير ممكنة في محكمة محلية، حينئذ يجب التفكير في تعيين حقّ النظر في الدعوى لمحكمة دولية.

وأخيراً، إذا أخذنا في الاعتبار تعدد أنشطة الأمم المتحدة ومبعوثيها المتعاملين مع لبنان، فإنه من المستحسن أن يكون هنالك نوع من التنظيم الفعال وتحديد أفضل للأدوار. وتبقى مسؤولية مراقبة الانتخابات، على سبيل المثال، غير واضحة.

بالنسبة للحكومة الأمريكية. إن الأمر الرئيسي بالنسبة لواشنطن هو أن تتجنّب إغواء تجاوز الحدود، وبشكل خاص الإحجام عن تعقيد المسألة الفورية لانتقال لبنان إلى حكومة منتخبة بحرية، مع وجود أمور إقليمية أكثر تفجراً إلى حد بعيد، مثل نزع سلاح حزب الله أو محاولة تغيير النظام في سوريا. ويتعين على الولايات المتحدة أن تتبنّى موقفاً متعقلاً، بحيث تتجه بعيداً عن التدخّل المباشر في شؤون لبنان وتؤيد التفاهمات التي يتوصل إليها الفاعلون السياسيون، كالتسلسل الذي تم وصفه أعلاه. ويتعين عليها، بقدر الإمكان، أن تُرسي سياستها على اتفاقية واسعة متعددة الأطراف، وعلى الخصوص عن طريق مجلس الأمن وبالتنسيق مع فرنسا.

في أعقاب انسحاب سوري يتم التحقق منه وانتخابات لبنانية حرة وعادلة، يتعين على الولايات المتحدة أن تفكّر في اختبار نوايا النظام البعثي من خلال عرض مخطط لتحسين العلاقات في حالة حدوث تعديل في التصرف السوري حول العراق وعملية السلام. وفي هذا السياق، يجب أن تقوم واشنطن بالإيماء برغبتها في المساعدة على تجديد المفاوضات الإسرائيلية-السورية إذا ما قامت دمشق بتغيير سياساتها الإقليمية بشكل حقيقي. وفي الوقت المناسب، يجب أن تفكّر الولايات المتحدة أيضاً بأن تصرح أنه في حالة حدوث مثل هذا التغيير واستئناف المفاوضات، فإنها تتوقع بأنه سيترتب على اتفاق إسرائيلي-سوري في نهاية الأمر انسحاب إسرائيلي من مرتفعات الجولان، بالإضافة إلى ترتيبات أمنية ملائمة وإقامة علاقات طبيعية سليمة بين الدولتين. لقد اقترح عضو في المعارضة السورية بأن مثل هذا التصريح سيعزز الانسحاب المذكور، مما سيوضح للشعب السوري بأن السياسات الحالية للنظام تقف في طريق استعادة الجولان[308].

ودون ريب، فليس هذا هو المزاج الحالي في واشنطن؛ وكما ذكر مسؤول في الإدارة الأمريكية، "إننا ننتظر خطأً واحداً آخر في التقدير أو الحساب من جانب سوريا لنضغط عليها بشدة"[309]؛ ويقترح آخرون ببساطة بأن لا تفعل الولايات المتحدة أي شيء يُطيل عمر نظام يُعتقد بأنه على حافّة الانهيار. وبالرغم من ذلك، هنالك سبب لاستكشاف إن كان النظام السوري، الذي يترنّح من الضغط الدولي ويتوق إلى البقاء، قد يغير موقفه إذا توفّر له احتمال تحسن العلاقات الثنائية وعملية سلام يتم إنعاشها من جديد. علاوة على ذلك، فإن الارتباط مع سوريا والتقدم في المفاوضات الإسرائيلية-السورية هما أنجح وأسلم طريقة لحلّ مسألة حزب الله بشكل نهائي. إن اتّباع أسلوب بديل – كلّه عصي (عقوبات) بدون جزر (مكافآت)—سوف ينطوي على مخاطرة اتخاذ تدابير يائسة من قبل نظام يائس[310].

بالنسبة إلى الحكومة السورية. إن النظام في دمشق، الذي ربما يكون على بعد عثرة أو خطوة خاطئة واحدة فقط من المواجهة مع الولايات المتحدة، لديه كلّ حافز للتعاون بشكل تام مع الأمم المتحدة حول انسحابه من لبنان؛ وهذا يعني الامتناع عن إعادة إدخال العديد من رجال المخابرات أو الاعتماد على عملاء لبنانيين لنفس الغاية. وهو يعني أيضاً تجنّب أية خطوات من المرجح أن تعيد إشعال العنف في لبنان. إن الانسحاب سيأتي بثمن باهظ لنظام اعتاد الاعتماد على لبنان كمكسب اقتصادي واجتماعي واستراتيجي. ولكن تكاليف وجوده حالياً تفوق المزايا، وفضلاً عن ذلك، تحتفظ سوريا بمجموعة من الوسائل المشروعة للإبقاء على نفوذ هام، مثل الروابط التجارية والصناعية إلى داخل العالم العربي، والإمداد بالكهرباء وحقوق المياه المشتركة. إن ما تحتاج إلى التخلّي عنه هو تدخّلها

---

[308] مقابلة كرايسز جروب، واشنطن، نيسان (أبريل) 2005.

[309] مقابلة كرايسز جروب، واشنطن، نيسان (أبريل) 2005.

[310] لاحظ عضو في المعارضة اللبنانية، وهو قلق حول إيحاءات الولايات المتحدة بأنها ستسعى إلى زعزعة استقرار النظام السوري، "لو كان النظام يستند إلى جدار، فإنه سيقاتل ثانيةً في لبنان". مقابلة كرايسز جروب، نيسان (أبريل) 2005. ومرة أخرى، فإن الآراء بين أعضاء المعارضة بعيدة عن كونها متماثلة حول هذه النقطة.

العسكري والأمني والاستخباراتي. ولتحقيق هذه الغاية، يتعين عليها أن توافق على إقامة علاقات دبلوماسية عادية، مع فتح سفارة في كلٍّ من العاصمتين --وهي خطوة قاومتها حتى الآن. وفي الوقت ذاته، يتعين عليها الإفراج عن جميع المساجين اللبنانيين المتبقين[311].

ويتعين على النظام، في المدى الأبعد ولكي يحاول أن يخلّص نفسه من وضعه الحالي، أن يفكّر في سلسلة من الخطوات الدبلوماسية والمحلية:

- كجزء من مباحثات شاملة مع الولايات المتحدة، القيام بمساعي أقوى للعمل على استقرار الوضع في العراق من خلال منع العراقيين وغيرهم من استخدام الأراضي السورية والتحريض على الهجمات في ذلك البلد، وكذلك حراسة وضبط الحدود ومنع أي من الناشطين الفلسطينيين في سوريا من تنظيم هجمات ضد إسرائيل؛

- الوصول إلى الجمهور الإسرائيلي. تفاعلاً مع نصيحة كرايسز جروب في هذا الشأن، فقد أوضح العديد من المسؤولين السوريين بأن عرض الرئيس بشار للسلام يتحدث عن نفسه. "إن الكرة الآن في ملعبهم"، كما قال أحد الوزراء[312]. وقد أشار مستشار سابق بأن "نظرية التفاوض تعلّم أنه يتعين على المرء عدم الشروع في تقديم تنازلات؛ لقد بدأ عرفات في الاستسلام للمطالب الإسرائيلية منذ أول يوم في عملية أوسلو، وانظر إلى وضع الفلسطينيين الآن"[313]. وقد استبعد بعض المسؤولين السوريين علاقة مثل هذه الإجراءات بمجملها: "لن يكون لإيماءاتنا أي أثر. إنهم فقط يريدون منّا التنازل عن حقوقنا، ولن نفعل ذلك أبداً"[314].

- في حين أن مثل هذه الحجج يمكن فهمها، إلا أنها فشلت في أخذ دور الرأي العام الإسرائيلي في الاعتبار. وبدلاً من قيام دمشق بشكل متكرر ودون جدوى بمحاولة إقناع الحكومة الإسرائيلية بحسن نيتها من خلال تكرار رغبتها في المحادثات، فإنه يتعين عليها تغيير هدفها وغايتها الشعب الإسرائيلي من خلال إيماءات مرئية بشكل أكبر، كدعوة أحد منافذ وسائل الإعلام الإسرائيلية لإجراء مقابلة لمسؤول كبير، يقدم فيها معلومات عن جنود إسرائيليين فُقدوا في المعركة، وإعادة بقايا جثمان إيلي كوهين[315]، أو توجيه الدعوة لشخصيات عامة لزيارة سوريا[316]. وكحد أدنى يتعين على سوريا أن تتوقف عن دعوة مكتب المقاطعة العربية ضد إسرائيل إلى الاجتماع والذي له، بأية حال، أثر محدود جداً[317]، وأن تباشر جهود نزع الألغام أو على الأقل الامتناع عن زرع ألغام جديدة بالقرب من خط الهدنة في الجولان[318].

- توضيح موقفها حول مزارع شبعا. لقد أيدت دمشق علناً موقف بيروت بأن المزارع لبنانية؛ ومع ذلك، فإنها مستمرة في الاحتفاظ ببعض الغموض. ويتعين على سوريا أن توضح هذه المسألة، على سبيل المثال من خلال

---

[311] طبقاً لمنظمة حقوق الإنسان اللبنانية (Solida)، لا تزال سوريا تعتقل حوالي 200 مواطن لبنان، http://www.syrian-jail.com/doc/detainees/.

[312] مقابلة كرايسز جروب، دمشق، 6 كانون الأول (ديسمبر) 2004.

[313] مقابلة كرايسز جروب مع عماد شعيبي، دمشق، 28 تشرين الأول (أكتوبر) 2004.

[314] مقابلة كرايسز جروب مع الوزيرة السورية لشؤون المغتربين بثينة شعبان، دمشق، 6 كانون الأول (ديسمبر) 2004.

[315] عند سؤاله عن بقايا جثمان إيلي كوهين، أخبر مسؤول في الشؤون الخارجية الإسرائيلية كرايسز جروب أن "ذلك سيكون هاماً جداً لإسرائيل، و"في حالة حصول تقدم حول ذلك، فسيكون له أثر كبير على الجمهور الإسرائيلي". مقابلة كرايسز جروب، القدس، كانون الأول (ديسمبر) 2004.

[316] استجابة لهذا الاقتراح الأخير --وبالتحديد لفكرة توجيه الدعوة للمفاوض الإسرائيلي السابق يوري ساغوي-- قال مسؤول سوري كبير: "هذه فكرة لا بأس بها. وشخصياً ليس لدي أي شيء ضدها، بشرط أن تكون هنالك نوايا حسنة من جميع الأطراف"، مقابلة كرايسز جروب، دمشق، كانون الأول (ديسمبر) 2004.

[317] تم تكريس آخر اجتماع لها جرى عقده في كانون الأول (ديسمبر) بدمشق لبحث "التغلغل الإسرائيلي في السوق العراقي"، وتحديث قائمة سوداء بأسماء الشركات الدولية التي تتاجر مع إسرائيل، صحيفة السفير، 7 كانون الأول (ديسمبر) 2004.

[318] بدأ الجنود السوريون مؤخراً في استبدال الألغام القديمة موضحين "إننا لا نزال في حالة حرب". ويدعي مكتب الأمم المتحدة نزع الألغام (UNDOF) أنه لا توجد بحوزته خرائط للألغام الإسرائيلية أو السورية في الجولان. مقابلة كرايسز جروب مع مسؤول في مكتب (UNDOF)، معسكر فوار، قرب القنيطرة، 2 كانون الأول (ديسمبر) 2004.

وثيقة رسمية تتضمن إثباتاً و/أو اتفاقاً سوريا-لبنانياً حول وضع شبعا يتم توجيهها إلى مجلس الأمن[319]. وفي حالة قيام سوريا بالإعلان رسمياً أن مزارع شبعا لبنانية، فإن ذلك قد يمهد السبيل أمام صفقة –تم اقتراحها من قبل بعض أعضاء المعارضة اللبنانية—تقوم إسرائيل بموجبها بالانسحاب من شبعا، بشرط أن يقوم حزب ا بوقف جميع هجماته وتسليم صواريخه إلى الجيش اللبناني، وإعادة الانتشار تجاه الشمال على مسافة عشرين إلى ثلاثين كيلومتراً، في الوقت الذي يتحرك فيه الجيش اللبناني نحو الحدود[320].

- رفع حالة الطوارئ وإضفاء الشرعية على الأحزاب السياسية التابعة للمعارضة والدعوة إلى عقد مؤتمر وطني للأحزاب وشخصيات المعارضة والناشطين لمناقشة وبحث المصالحة الوطنية، والقيام بخطوات للتحرك نحو الانتخابات التعددية، وإصدار عفوٍ عام عن السجناء السياسيين والسماح بعودة أعضاء المعارضة المنفيين الذين لم يشاركوا في العنف[321]؛ و

- وضع جميع أجهزة الأمن والاستخبارات تحت إشراف مجلس أمنٍ قومي مجهز بموظفين مدنيين[322].

بالنسبة للاتحاد الأوروبي. إن التوسط في وفاق لبناني داخلي ووضع آلية للانتخابات، وكذلك مراقبة تلك الانتخابات، سوف يمثّل امتداداً منطقياً لاتفاقية الشراكة الأوروبية اللبنانية، التي أقامت "حواراً سياسياً" متواصلاً حول "مبادئ الديموقراطية وحقوق الإنسان الأساسية"[323]. "ويجب على الاتحاد الأوروبي أن يضغط على الحكومة اللبنانية لتوجيه دعوة مبكّرة لبعثة مراقبة؛ إن التجربة تعلّم أن أفضل البعثات هي تلك التي تكون في الساحة قبل يوم الانتخابات بوقت كافٍ والتي يتم تسهيل عملها من قبل السلطات. ويجب على المراقبين أن يولوا اهتماماً خاصاً للنشاط المحتمل من قبل رجال المباحث السوريين أو عملائهم، وبالتالي يساهمون في التحقّق من تنفيذ القرار 1559[324]. كذلك، يتعين على الاتحاد الأوروبي أن يقف على أهبة الاستعداد لإرسال مراقبين لمحاكمة محتملة لأولئك المتهمين بالتورط في اغتيال الحريري. بشكل أوسع، يجب أن يستخدم الاتحاد الأوروبي نفوذه الاقتصادي للحثّ على التعاون اللبناني --بما فيه الكتلة الموالية لعين التينة-- في إجراء انتخابات حرة وعادلة وفي موعدها المحدد[325].

كوسيلة للضغط على سوريا لعدم التدخّل في الانتقال إلى حكومة منتخبة جديدة وعدم التحريض على العنف من قبل عملائها، فإنه

---

[319] مقابلة كرايسز جروب الهاتفية مع أحد الدبلوماسيين، 1 نيسان (أبريل) 2005.

[320] إن مسألة إن كان أي انسحاب من شبعا سيزيل آخر مبرر متبقٍ لحزب ا للنضال المسلح وإجباره على الإسراع في تحوله السياسي، تعتبر مسألة خلافية. إن إسرائيل التي لم تنسحب من شبعا بحجة أنها سورية، من المرجح أن تطالب كحد أدنى بتأكيدات واضحة وقابلة للتحقّق منها بأن أي انسحاب سيكون له تأثير إيجابي من النوع الذي جرى وصفه.

[321] لقد أعلن بشّار عن العديد من حالات العفو العام المذكورة منذ توليه السلطة في شهر تموز (يوليو) من عام 2000. ويعتقد بأن سوريا لا تزال تعتقد المئات من السجناء السياسيين "ويدعي البعض بأن هذا الرقم قد يتجاوز الألف (1000) في حالة إدراج الإسلاميين اللاعنفيين المعتقلين بصفة جهاديين". لقد صرح السفير السوري بالولايات المتحدة أنه سيتم الإفراج عن جميع السجناء السياسيين الباقين قبل حزيران (يونيو) 2005، وكالة سي إن إن (CNN)، 23 آذار (مارس) 2005.

[322] من الأمور المثيرة للاهتمام أن هذه الفكرة قد تم دعمها من قبل وزير الدفاع حسن تركماني بعد أن تم اقتراحها من قبل أيمن عبد النور، وهو عضو إصلاحي في حزب البعث. مقابلة كرايسز جروب مع أيمن عبد النور، دمشق، 6 آذار (مارس) 2005. لقد أثار تركماني الفكرة في كتابه، "الهم القومي في القرن الواحد والعشرين" (دمشق، 2005). راجع أيضاً إذاعة بي.بي.سي (BBC) (القسم العربي)، 25 كانون الثاني (يناير) 2005. وسيعمل مجلس الأمن القومي على استكمال الجهود الأخيرة التي قام بها وزير الداخلية غازي كنعان لإصلاح جهاز الأمن السياسي ووضعه تحت الرقابة الوزارية بشكل حازم.

[323] إن هذه المبادئ "توجه [الـ] سياسة الداخلية وتشكّل عنصراً جوهرياً لاتفاقية [الشراكة الأوروبية-اللبنانية]"، اتفاقية الشراكة مع لبنان (المادة2).

[324] لقد جادل دبلوماسي أوروبي بأن مراقبي الانتخابات سيكونون في وضع جيد لملاحظة أي نشاط مستمر من قبل عملاء الاستخبارات السورية، حيث سيكونون على اتصال مباشر ويومي مع السكان المحليين. مقابلة كرايسز جروب، بيروت، 7 نيسان (أبريل) 2005.

[325] لقد أصبح المأزق الاقتصادي والمالي اللبناني أسوأ إلى حد كبير بسبب الأزمة الحالية. إن معظم مشاريع الاتحاد الأوروبي في لبنان قد تعطّلت نظراً لعدم التعاون من جانب الحكومة. ولا يمكن استبعاد إمكانية حدوث انهيار مالي --لم تعد خزينة الدولة قادرة على دفع رواتب موظفي الحكومة--. وقد أوضح مسؤولون في الاتحاد الأوروبي أنه لو حدث ذلك، فإن الاتحاد الأوروبي لن يأتي لإنقاذ لبنان، ما لم يكن قد تم تحقيق تقدم تجاه إجراء انتخابات حرة وعادلة. مقابلة كرايسز جروب مع دبيلوماسي أوروبي، بيروت، 7 نيسان (أبريل) 2005.

يتعين على الاتحاد الأوروبي الاستمرار في الإحجام عن إضفاء الصفة الرسمية على اتفاقية شراكتها مع دمشق --التي تم التوقيع عليها بالأحرف الأولى في أيلول (سبتمبر) 2004 ولكن لم يتم حتى الآن توقيعها وإقرارها-- حتى تنسحب بشكل كامل وحتى يتم إجراء انتخابات حرة وعادلة في لبنان(326). وبعد هذا القول، ففي حالة حدوث مثل تلك الانتخابات، يجب على الاتحاد الأوروبي أن لا يختار أي تأجيل لمدة طويلة. لقد نتج عن المفاوضات حول الاتفاقية إدراج بنود مفيدة تتعلق بحقوق الإنسان وعدم انتشار الأسلحة المحظورة ومقاومة الإرهاب. كذلك، فإن تنفيذ الاتفاقية سوف يدعم الإصلاحيين السوريين ويخفّف من قبضة الاحتكاريين وحلفائهم في النظام الذين سعوا لإحباط إبرامها(327).

كذلك، يتعين على الاتحاد الأوروبي أن يستأنف حواراً مع حزب ا لمحاولة توجيهه نحو دور بنّاء في لبنان وفي المدى الطويل، نحو هوية سياسية بشكل حصري. وفي هذا السياق يجب على الاتحاد الأوروبي أن يقاوم الضغط الأمريكي والإسرائيلي لوضع حزب ا على قائمة الإرهاب وإبطال المعلومات بأنه متورط حالياً في النشاط المذكور. وأخيراً، بمجرد أن تتخذ حكومة منتخبة حديثاً وضعها الصحيح، يتعين على الاتحاد الأوروبي أن يبدأ العمل على مؤتمر باريس الثالث لإظهار تأييده ومساندته في معالجة الدين العام الضخم المترتّب على لبنان(328).

بالنسبة للحكومة الإسرائيلية. بعد العثرات الأولية --بما فيها بشكل خاص التصريحات الخرقاء لوزير الخارجية سيلفان شالوم التي أشاد فيها بالمعارضة ودعا إلى الانسحاب الفوري لسوريا(329)-- وبعد تعنيف سري من الولايات المتحدة، تبنّت إسرائيل موقفاً بنّاء أكثر يتسم بدرجة أقلّ من التعرض العلني، وكما صرح عضو في المعارضة اللبنانية، "تقريباً أي شيء تفعله إسرائيل يضر بنا ويؤذينا. يجب أن تبقى بعيدة عنّا وعن لبنان بقدر المستطاع. إن هذا ليس شأناً إسرائيلياً، كما يجب عدم النظر إليه بأنه كذلك"(330). وهذا يعني أيضاً الامتناع عن أي عمل عسكري، بما في ذلك اختراق أجواء لبنان ومياهه الإقليمية في انتهاك لقرار مجلس الأمن رقم 425(331)، وعن الضغط لإبرام اتفاقية منفصلة مع حكومة لبنانية منتخبة حديثاً في غياب أي تقدم نحو السلام مع سوريا(332).

(326) قال ممثّل الاتحاد الأوروبي في سوريا: "إنني لا أستطيع التصور كيف يمكننا التفكير في التوقيع قبل الوفاء بهذين الشرطين: انسحاب كامل وقابل للتحقّق منه للجنود والخدمات الاستخباراتية ومسألة ما نشاهده بشكل واقعي على الأرض، هل هي انتخابات حرة وشفافة أم لا"، وكالة رويترز، 4 نيسان (أبريل) 2005.

(327) مقابلة كرايسز جروب مع مسؤول كبير سابق في الاتحاد الأوروبي، واشنطن، نيسان (أبريل) 2005، ومع مفاوض سوري سابق حول اتفاقية الشراك، آذار (مارس) 2005.

(328) باريس، يشير إلى الاجتماع الذي انعقد في شباط (فبراير) 2001 بين رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري والرئيس الفرنسي جاك شيراك، والذي تحول إلى مؤتمر للمانحين تم ترتيبه بشكل غير محكم، حيث حضره عدد من البلدان الأخرى: لقد عاد الحريري إلى لبنان بوعود بمساعدة مالية تبلغ 500 مليون دولار. وقد تم عقد باريس 2 في تشرين الثاني (نوفمبر) 2002، عندما تجمع في باريس ثمانية عشر بلداً وثماني مؤسسات مالية في باريس لبحث الوسائل لإنقاذ لبنان من مشكلة الدين العام المتفاقمة: لقد نجح لبنان في تأمين حوالي 4.4 مليارات دولار في شكل قروض، حيث تعهد الحريري لغرض دعمها بتخصيص المنافع العامة (تحويلها إلى القطاع الخاص) وتقليص الإنفاق الحكومي بواقع 9 بالمائة. راجع الحاشية 68 الواردة آنفاً.

(329) وصف شالوم الاحتجاجات المناهضة لسوريا في لبنان بأنها "التطور الأكثر أهمية. إنه أمر كنّا نأمل حدوثه". وأضاف قائلاً أن "هناك رغبة حقيقية لدى الشعب اللبناني لتحرير أنفسهم من الاحتلال السوري". إذاعة الجيش الإسرائيلي، 2 آذار (مارس) 2005.

(330) مقابلة كرايسز جروب، نيسان (أبريل) 2005.

(331) لاحظت اليونيفيل (UNIFIL) التابعة للأمم المتحدة مؤخراً حدوث "اختراقات جوية إسرائيلية متزايدة خارج النمط العادي". وفي حين أن الاختراقات الإسرائيلية للأجواء اللبنانية تحدث في العادة تقريباً مرتين أو ثلاث مرات في الأسبوع، فقد قفز العدد إلى عشرين خلال الأسبوع الأخير من آذار (مارس) وأوائل نيسان (أبريل) 2005. وتتم هذه بشكل عام بطائرات استطلاع دون طيار. وطبقاً لـ(UNIFIL) لم يقابل هذه الزيادة نشاط متزايد ومماثل من قبل حزب ا ، الذي حافظ على حدوثه، على الأقل منذ اغتيال الحريري. مقابلة كرايسز جروب الهاتفية مع ضابط في الـ(UNIFIL) في الناقورة، 5 نيسان (أبريل) 2005.

(332) في الوقت الذي كان يعبر فيه عن التفهم للحاجة إلى تبنّي درجة منخفضة من التعرض العلني، أوضح مسؤول إسرائيلي: "إننا ندرك بشكل مستمر المشاكل والتهديدات الصادرة عن حزب ا ، ومع أخذ حساباتنا ومصالحنا القومية فـي الاعتبار، فإننا نُبقي جميع الخيارات مفتوحة. وأحياناً يكون من الأمور الجيدة أن نظهر ضبطاً وتحفظاً ونمنع الصراع، وأحياناً أخرى يكون ذلك سـيئاً. ولكـن ندرك اهتمامات المجتمع الدولي ولا نريد أن نعترض الطريق". مقابلـة كرايسز جروب ، تل أبيب، آذار (مارس) 2005. وقد أعرب كذلك عن هواجس حول رغبة أوروبا في تأجيل مسألة نزع سلاح حزب ا إلى أجل غير محـدد. "إن حزب ا يسره سماع ذلك، ويستمر في التصرف كما كان يفعل دائمـاً. وفـي نهاية الأمر، فإن الديموقراطيات تبحث عن مساومة، وهذا يخدم الراديكاليين. لا

بمجرد أن تتّخذ حكومة لبنانية منتخبة وضعها الصحيح، يجب أن تكون إسرائيل منفتحة على اتفاق محتمل يشمل انسحابها من شعبة عبر الخطوط الموصوفة آنفاً، أي، في سياق ترتيبات تعمل على تخفيف التهديد العسكري من جانب حزب ا وزيادة الضغط المحلي والدولي على المنظمة لتتولى دوراً سياسياً بشكل حصري. كما يجب عليها (إسرائيل) أيضاً، وفي وقت ملائم، أن تختبر بجدية رغبة الرئيس بشّار التي كثيراً ما تكررت لاستئناف المفاوضات

بيروت/عمان/بروكسل، 12 نيسان (أبريل) 2005

يمكن أن يكون هنالك شبه أو نصف نزع سلاح؛ ماذا يعني ذلك، بنادق ولكـن دون رصاص؟ إنه أمر مضحك. إن حزب ا صابر، ويعتقد أنه سينتصر. إنه سيستمر في اللعب على الطرفين، لعبة الجهاد ولعبة السياسة. وكما نقـول فـي إسرائيل، إنهم سيحضرون العرسين معاً". في نفس المكان.

ملحق أ

خارطة لبنان



Courtesy of The General Libraries, The University of Texas at Austin

ملحق ب

ملخص حول انترناشونال كرايسز جروب

إنترناشونل كرايسز جروب (كرايسز جروب) هي منظمة مستقلة غير ربحية متعددة الجنسيات يعمل بها 100(مائة) موظفا في 5 (خمس) قارات، يعملون من خلال التحليل الميداني الموجه للمستويات القيادية لمنع وحل النزاعات.

يعتمد أسلوب عمل كرايسز جروب على البحث الميداني. وتتواجد فرق من المحللين السياسيين داخل أو بالقرب من البلدان المهددة باندلاع، وتصعيد أو إعادة وقوع النزاع المسلح. واستنادا إلى المعلومات والتقييمات التي تردها من الميدان، فإن كرايسز جروب تضع تقارير تحليلية عديدة، تحتوي على توصيات عملية، وموجهة إلى صناع القرار الدوليين الرئيسيين. كما تصدر كرايسز جروب نشرة شهرية بعنوان CrisisWatch تتكون من 12 صفحة تحتوي على آخر تطورات الصراعات في المناطق المعرضة للصراع في العالم.

توزع تقارير كرايسز جروب على نطاق واسع بواسطة البريد الإلكتروني والنسخ المطبوعة إلى المسؤولين في وزارات الخارجية والمنظمات الدولية، وأيضا توزع على نطاق عام بواسطة موقع كرايسز جروب على الإنترنت (www.crisisgroup.org. تعمل كرايسز جروب بالقرب من الحكومات وأولئك الذي يؤثرون عليها، بما في ذلك وسائل الإعلام، لإظهار تحليلاتها للأزمات ولتوليد التأييد لوصفاتها السياسية.

يضم مجلس إدارة كرايسز جروب شخصيات بارزة في حقول السياسة، والدبلوماسية والأعمال والإعلام، الذي يقدم المساعدة لجلب اهتمام صانعي القرار على امتداد العالم إلى تقارير المجموعة وتوصياتها. يرأس كرايسز جروب رئيس فنلندا السابق مارتي أهتساري؛ رئيسها ومديرها التنفيذي هو وزير خارجية أستراليا السابق جارث إيفانز منذ شهر كانون الثاني 2000م.

يوجد مقر الإدارة الرئيسية ل كرايسز جروب في بروكسل، ولها مكاتب استشارية في كل من واشنطن العاصمة، ونيويورك ولندن وموسكو. تعمل المجموعة حاليا في سبع عشر مركزا ميدانيا(في عمان، بلغراد، بوغوتا، القاهرة، دكار، دوشنبه، اسلام اباد، جاكارتا، كابول, نيروبي، اوش،بريتوريا، بريشتينا، كويتو، سراييفو، سكوبي، وتبليسي) ويعمل محلليها في حوالي 40 منطقة معرضة للأزمات على امتداد أربع قارات. وفي إفريقيا، تشمل تلك المواقع انجولا، بوروندي، وكوت دي فوار، وجمهورية الكونغو الديمقراطية،

وسيراليون، وليبيريا غينيا، اثيوبيا, ارتريا, ورواندا، والصومال والسودان, اوغندا وزمبابوي. وفي آسيا، أفغانستان، كشمير، كزخستان، وكيرجيستان، وإندونيسيا وميانمار/بورما، نيبال، والباكستان ، وطجيكستان، تركمنستان وأوزبكستان ؛ وفي أوروبا، في ألبانيا، أرمينيا، أزربيجان، والبوسنة وهيرزجوفينا، وجورجيا، وكوسوفو، ومقدونيا،ومولدوفا، ومونتنجرو وصربيا؛ وفي الشرق الأوسط في المنطقة جميعها من شمال إفريقيا إلى إيران، وفي أميركا اللاتينية في كولومبيا ومنطقة الأنديز.

تجمع كرايسز جروب المساعدات من الحكومات، والمؤسسات الخيرية، والشركات والمتبرعين الفرديين. تقدم حالياً كلا من الحكومات والوكالات التالية تبرعات: وكالة التنمية العالميـة الأسـترالية ، وزارة الخارجيـة الفدرالية النمساوية، وزارة الخارجية والتجارة العالمية الكنديـة، وكالـة التنمية العالمية الكندية، وزارة خارجية هولندا، وزارة الخارجية الفنلندية، وزارة الخارجية الفرنسية، وزارة الخارجية الألمانية، وزارة الخارجيـة الايرلندية، وكالة التعاون العالمية اليابانية، وزارة خارجية لوكسـمبورج، وكالة التنمية النيوزيلاندية، وزارة خارجية جمهورية الصـين (تـايوان) وزارة الخارجية الدنمركية، وزارة خارجية النرويج، وزارة الخارجيـة السويدية، وزارة خارجية سويسرا وزارة خارجية تركيا، وزارة خارجية المملكة المتحدة والكومنويلث، وزارة التنمية المملكة المتحدة، وكالة التنمية العالمية الولايات المتحدة.

كما تتضمن قائمة المانحين من المؤسسات الخاصة ومن القطاع الخاص، أتلنتك فيلانتروبيز، مؤسسة كارنيجي في نيويـورك، مؤسسـة فـورد، مؤسسة بل ومليندا جيتس، ومؤسسة وليام وفلورا هيولـت، ومؤسسـة هنري لوس، مؤسسة جون د. وكاثرين ت. ماك آرثر، صندوق جـون ميرك، مؤسسة شارلز ستيوارت موط، مؤسسة أوبن سوسيتي، صندوق بلاوشيرز، وصندوق سيجرد راوزنـج، مؤسسـة سسـاكاوا للسـلام، ومؤسسة سارلو، ومعهد الولايات المتحدة للسلام، وفنـدجاو اورينـت.

نيسان 2005

ملحق ج

التقارير والأوراق الموجزة الصادرة عن كرايسز جروب الشرق الأوسط وشمال أفريقيا منذ 2002

ARAB-ISRAELI CONFLICT

A Time to Lead: The International Community and the Israeli-Palestinian Conflict, Middle East Report N°1, 10 April 2002

Middle East Endgame I: Getting to a Comprehensive Arab-Israeli Peace Settlement, Middle East Report N°2, 16 July 2002

Middle East Endgame II: How a Comprehensive Israeli-Palestinian Settlement Would Look, Middle East Report N°3; 16 July 2002

Middle East Endgame III: Israel, Syria and Lebanon – How Comprehensive Peace Settlements Would Look, Middle East Report N°4, 16 July 2002

The Meanings of Palestinian Reform, Middle East Briefing Nº2, 12 November 2002

Old Games, New Rules: Conflict on the Israel-Lebanon Border, Middle East Report N°7, 18 November 2002

Islamic Social Welfare Activism in the Occupied Palestinian Territories: A Legitimate Target?, Middle East Report N°13, 2 April 2003

A Middle East Roadmap to Where?, Middle East Report N°14, 2 May 2003

The Israeli-Palestinian Roadmap: What A Settlement Freeze Means And Why It Matters, Middle East Report N°16, 25 July 2003

Hizbollah: Rebel without a Cause?, Middle East Briefing Nº7, 30 July 2003

Dealing With Hamas, Middle East Report N°21, 26 January 2004 (also available in Arabic)

Palestinian Refugees and the Politics of Peacemaking, Middle East Report N°22, 5 February 2004

Syria under Bashar (I): Foreign Policy Challenges, Middle East Report N°23, 11 February 2004 (also available in Arabic)

Syria under Bashar (II): Domestic Policy Challenges, Middle East Report N°24, 11 February 2004 (also available in Arabic)

Identity Crisis: Israel and its Arab Citizens, Middle East Report N°25, 4 March 2004

The Broader Middle East and North Africa Initiative: Imperilled at Birth, Middle East Briefing Nº13, 7 June 2004

Who Governs the West Bank? Palestinian Administration under Israeli Occupation, Middle East Report N°32, 28 September 2004 (also available in Arabic and in Hebrew)

After Arafat? Challenges and Prospects, Middle East Briefing N°16, 23 December 2004 (also available in Arabic)

Disengagement and After: Where Next for Sharon and the Likud?, Middle East Report N°36, 1 March 2005

EGYPT/NORTH AFRICA

Diminishing Returns: Algeria's 2002 Legislative Elections, Middle East/North Africa Briefing Nº1, 24 June 2002

Algeria: Unrest and Impasse in Kabylia, Middle East/North Africa Report N°15, 10 June 2003 (also available in French)

The Challenge of Political Reform: Egypt after the Iraq War, Middle East Briefing Nº9, 30 September 2003

Islamism in North Africa I: The Legacies of History, Middle East and North Africa Briefing Nº12, 20 April 2004)

Islamism in North Africa II: Egypt's Opportunity, Middle East and North Africa Briefing Nº13, 20 April 2004

Islamism, Violence and Reform in Algeria: Turning the Page, Middle East and North Africa Report Nº29, 30 July 2004 (also available in Arabic and in French)

Understanding Islamism, Middle East Report N°37, 2 March 2005

IRAQ/IRAN/GULF

Iran: The Struggle for the Revolution's Soul, Middle East Report N°5, 5 August 2002

Iraq Backgrounder: What Lies Beneath, Middle East Report N°6, 1 October 2002

Voices from the Iraqi Street, Middle East Briefing Nº3, 4 December 2002

Yemen: Coping with Terrorism and Violence in a Fragile State, Middle East Report N°8, 8 January 2003

Radical Islam in Iraqi Kurdistan: The Mouse That Roared? Middle East Briefing Nº4, 7 February 2003

Red Alert in Jordan: Recurrent Unrest in Maan, Middle East Briefing Nº5, 19 February 2003

Iraq Policy Briefing: Is There an Alternative to War?, Middle East Report N°9, 24 February 2003

War in Iraq: What's Next for the Kurds?, Middle East Report N°10, 19 March 2003

War in Iraq: Political Challenges after the Conflict, Middle East Report N°11, 25 March 2003

War in Iraq: Managing Humanitarian Relief, Middle East Report N°12, 27 March 2003

Baghdad: A Race against the Clock, Middle East Briefing Nº6, 11 June 2003

Governing Iraq, Middle East Report N°17, 25 August 2003

Iraq's Shiites under Occupation, Middle East Briefing Nº8, 9 September 2003

The Challenge of Political Reform: Jordanian Democratisation and Regional Instability, Middle East Briefing Nº10, 8 October 2003 (also available in Arabic)

Iran: Discontent and Disarray, Middle East Briefing Nº11, 15 October 2003

Dealing With Iran's Nuclear Program, Middle East Report N°18, 27 October 2003

Iraq's Constitutional Challenge, Middle East Report N°19, 13 November 2003 (also available in Arabic)

Iraq: Building a New Security Structure, Middle East Report N°20, 23 December 2003

Iraq's Kurds: Toward an Historic Compromise?, Middle East Report N°26, 8 April 2004 (also available in Arabic)

Iraq's Transition: On a Knife Edge, Middle East Report N°27, 27 April 2004 (also available in Arabic)

Can Saudi Arabia Reform Itself?, Middle East Report N°28, 14 July 2004 (also available in Arabic)

Reconstructing Iraq, Middle East Report N°30, 2 September 2004 (also available in Arabic)

Saudi Arabia Backgrounder: Who are the Islamists?, Middle East Report N°31, 21 September 2004 (also available in Arabic)

Iraq: Can Local Governance Save Central Government?, Middle East Report N°33, 27 October 2004 (also available in Arabic)

Iran: Where Next on the Nuclear Standoff, Middle East Briefing N°15, 24 November 2004

What Can the U.S. Do in Iraq?, Middle East Report N°34, 22 December 2004 (also available in Arabic)

Iraq: Allaying Turkey's Fears Over Kurdish Ambitions, Middle East Report N°35, 26 January 2005 (also available in Arabic)

Iran in Iraq: How Much Influence?, Middle East Report N°38, 21 March 2005

OTHER REPORTS AND BRIEFINGS

For Crisis Group reports and briefing papers on:

- Asia
- Africa
- Europe
- Latin America and Caribbean
- Thematic Issues
- *CrisisWatch*

please visit our website www.crisisgroup.org

ملحق د

أعضاء مجالس إدارة كرايسز جروب